

نجيب محفوظ

أهالى الحرس

تبسيط و تيسير محمد المعلم

دار الشروق

أمير العرش

مبسطة ومبسطة

رواية الكاتب الكبير نجيب محفوظ ،
تقدمها بنفس لغتها ميسرة للناشئين ،
ليقرأوها بهم تام ، واستمتع بأحداثها كاملة ،
وسعادة بتجاوزهم قراءة القصة إلى قراءة الرواية .

محمد العاشر

الطبعة الأولى
١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

جيش جنوب الطبيع محفوظة

© دار الشروق

القاهرة ١٦ شارع حماد حسni - هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤
بريس شرق - تكسي ٩٣٩٩١ SHROK UN
بيروت ص ب ٨١٧٧٦٥ - ٣١٥٨٦٩ - ٨١٧٢١٣
بريس داشرق - تكسي SHROK 20175 LE

نجيب محفوظ

أهام العرش

تيسير وتبسيط محمد المعلم

الغلاف والرسوم : مصطفى حسين

دار الشروق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شخصيات المحكمة

أوزوريس : معبد مصرى قديم . نشر الخير في البلاد ، وعلم الناس الزراعة . وحسب العقيدة المصرية القديمة ، عندما انتقل إلى العالم الآخر ، كان يحاكم الموتى .

إيزيس : زوجة أوزوريس ، وشريكه في نشر الخير في البلاد . وكانت رمزا للأمومة والإخلاص .

حورس : ابن أوزوريس وإيزيس . ورث عرش أبيه على الأرض . وأصبح رمزا للملوك الفراعنة .

انعقدت المحكمة ببيتها المقدسة في قاعة العدل . وكانت جدران القاعة عالية ، ومنقوشة بالرموز الإلهية ، وسقفها مذهبا .. تسبح في سماءه « أحلام البشرية » . وفي الصدر ، كان أوزوريس يجلس على عرشه الذهبي ، وإلى يمينه إيزيس تجلس على عرশها ، وإلى يساره حورس على عرشه . وعلى بعد قليل من قدميه ، تربع تحوت كاتب الآلة ، وأسند الكتاب الجامع إلى ساقيه المضمومتين . وعلى جانبي القاعة ، صفت الكراسي المكسوة بشارة من الذهب الخالص ، تنتظر الذين سيكتب لهم الخلاص من القادمين .

وقال أوزوريس :

- كُتب على البشرية منذ القدم ، أن تصحيم حياتهم في الدنيا عند عبورهم عتبة الموت ، وتبعهم ، كالظل ، حاملة أفعالهم ونواياهم ، وتجسد كلها فوق أجسامهم العارية .

وقد تقرر أن تكون هذه الساعة هي ساعة الحساب الفاصلة ، لمن حكموا مصر أو كان لهم دور في تاريخها ..

فانعقدت هذه المحكمة ، تقوم بسباحة طويلة عبر الزمن ، منذ بدأ تاريخ مصر القديم .. وتقديم - عبر تلك السباحة - نماذج من الحكماء والأفراد ، وتصدر حكمها فيهم ، بعد أن تحسب لهم ما قاموا به ، وتحسب عليهم ما كان يؤخذ عليهم .

* * *

وأشار أوزوريس إلى حورس . فصاح الشاب بصوت جهوري :
- الملك مينا .

ودخل من الباب في آخر القاعة ، رجل متلعم بكفنه ، عاري الرأس ، حافي القدمين . وأخذ يقترب بجسمه القوى ، وملامحه الواضحة ، حتى وقف على بعد ثلاثة أذرع من العرش ، في خشوع كامل .

وأشار أوزوريس إلى تحوت كاتب الآلهة . فراح يقرأ من الكتاب :
- أعظم ملوك الأسرة الأولى . حارب الليبيين واتصر عليهم . هاجم مصر السفلية وضمها إلى مملكته الجنوبية ، وأعلن نفسه ملكاً على مصر كلها ، وتوج رأسه بتاج مزدوج . حول مجرى النيل وأنشأ مدينة منف على الأرض التي نتجت عن التحويل .

وقال أوزوريس ، مخاطباً مينا :
- هات ما عندك .

فقال الملك مينا :

- لخص تحوت كاتب الآلهة حياني في كلمات . ولكن ما أسهل الكلام وأشق العمل .

فقال أوزوريس :
- لنا رؤيتنا في تقييم الرجال والفعال . فلا تبدد الوقت في الثناء على نفسك .
فقال الملك مينا :

- ورثت مملكة الجنوب من أسرى . وورثت معها حلاماً كبيراً : تطهير البلاد من الغرباء ، وإقامة وحدة أبدية بين مملكتي الجنوب والشمال . وكان صوت عمتي أوز أقوى محرك لاشعال ذلك الحلم الكبير . كانت تنظر إلى باشفاق وتقول :

- أتقضى عمرك في الأكل والشرب والصيد ؟ .

أو تقول بكبرياء :

- لم يعلمنا أوزوريس الزراعة ، لنقتل حول توزيع ماء الفيضان .
وقلت لزوجتي المحبوبة ، إنني أشعر بمحنة تتقد في صدرى ، ولن تبرد حتى أححقق الحلم . ووجدتها زوجة رائعة . قالت لي بحماس :

- لا تدع الليبيين يهددون عاصمتك ، ولا تدع الناس يقسمون الأرض التي وحدها النيل .

وانكبيت على تدريب الرجال الأشداء ، وصلست إلى الآلة ، لتهنى الرضا والنصر ، حتى تتحقق ، على يديّ ، الحلم الذي راود آنئي وأجدادى .

فقال أوزوريس :

- أزهقت من أرواح الليبيين مائة ألف ! .

- كانوا المعذبين يامولاي .

- ومن أرواح المصريين شماليين وجنوبيين ، مائتي ألف .

- راحوا فداء للوحدة .. ثم حل الأمن والسلام ، وتوقف تزيف الدم الموسي بسبب التزاع حول النيل .

فسأله أوزوريس :

- لماذا لم تقمع فوتك بالكلمة ، قبل اللجوء إلى السيف ؟ .

- فعلت ذلك مع جيراني ، وانضم بعضهم دون قتال . ولكن حق السيف في أعوام ما لم تتحقق الكلمة في أجيال .

- يقدم كثيرون هذا المنطق ، ليغطوا إيمانهم بالعنف .

فقال مينا بحرارة :

- استحوذ على مشاعرى مجد مصر وأمنها .

- ومجدك الشخصى أيضاً .

فقال الملك مينا بتسليم :

- لا أنكر ذلك . ولكن الخير عمّ البلاد .

- وكان لأسرتك وأعوانك النصيب الأكبر منه . ولل فلاحين الحد الأدنى .

- مضى أكثر عهدي في القتال والبناء . فلم أنعم بحياة القصور . ولم أهنا بلذيد الطعام والشراب . ولم أمس من النساء إلا زوجتي . وكان لابد من مكافأة الأعوان على قدر أعمالهم .

وطابت إيزيس الكلمة ، وقالت :

- مولاي ، أنت تحاكم بشرا لا آلة . وكفى هذا الرجل الشجاع أنه زهد في

النعم والكسل . فطهر البلاد من الدخلاء ، ووحد مصر ، فأطلق قوتها الكامنة ، وكشف عن خيراتها المطمورة . ووفر للفلاحين الأمن والسلام . إنه ابن اعتر بيته .
وصمت أوزوريس قليلا ، ثم قال :
- أيها الملك ، اتخذ مجلسك على أول كرسى في الجناح الأيمن .
فضى الملك مينا إلى كرسيه . وأدرك أنه أصبح من أهل النعم في العالم الآخر .

٢

وصاح حورس :
- الملك زoser وزيره أختب .
وجاء من الباب في آخر القاعة رجالان .. أولهما وسيط القامة متين البنيان . وثانيهما نحيل أمييل إلى القصر . وكلاهما متلتف بكتفه ، عاري الرأس ، حاف القدمين . تقدما نحو العرش حتى مثلا بين يدي أوزوريس .. الملك ووراءه الوزير .
فقال أوزوريس مخاطبا أختب :
- تقدم ، وقف في محاذة الملك . فلا فرق في هذا المكان بين ملك ورعية .
فصعد أختب بالأمر . وراح تحوت يقرأ صفحة جديدة .
- الملك زoser ، أسس الأسرة الثالثة ، غزا النوبة ، اكتشف مناجم النحاس في الصحراء الشرقية ، بني الهرم المدرج .
والوزير أختب ، حكيم حفظت الأجيال حِكمَه ، ويرع في الطب والفلك والسحر والهندسة ، وقدّسه الناس بعد وفاته بمئات السنين .
ودعا أوزوريس الملك زoser للكلام ، فقال :
- ورثت مملكة موحدة ، متراجمة الحدود ، وفيرة الخيرات ، تحب السلام ، ولكن يطمع فيها الحبيطون بها . فابتكرت سياسة لنفسى ، ولمن يحيىء بعدي ، تقوم على أن الدفاع عن مصر يتطلب غزو القاطنين ورهم حدودها . ولما كانت النوبة هي أكثر البلاد التي تتسلل إلى وطني ، فقد قررت توسيع الحدود الجنوبية ، بغزو النوبة الشمالية ، وإقامة معبد للإله فيها .

وعرف أختب ، بعلمه وسحره ، الكنوز المخبأة في الصحراء الشرقية . فأرسلتبعثات لاستكشاف بطن الأرض . فعثرنا على مناجم النحاس ، ووجدنا فيه منافع قيمة في السلم والحرب . وتکاثر الخير . فشيدت الهرم المدرج . كما شجعت العلوم وكافأت النابغين فيها ، ومضت الأيام في عهدي ، تحمل مصر التقدم والقوة .
ودعا أوزوريس أختب للكلام ، فقال :

- نشأت أحب العلم والمعرفة . ودرست على كهنة منف العظام ، فحصلت على أعلى الدرجات في الطب والهندسة والفلك والسحر والحكمة . ولما علم الملك بتفوقي ، دعاني إلى العمل في حاشيته ، رغم انتقامي إلى الشعب الفقير . فأثبتت جدارتي في كل ما كلفني به . فولّاني الوزارة . وعهد إلى بناء الهرم ، فكان تحفة البناء في عصره .
قال أوزوريس للملك زoser :

- غزوت النوبة دون أن تبدى منها أى بادرة اعتداء على حدود مملكتك .
قال الملك زoser :
- قلت يامولاي ، إننى اهتديت إلى فكرة الدفاع عن الحدود بغزو القائمين
وراءها .

- نظرية لا يقول بها إلا قوى يضمرون العداون ..
- كان واجبي الأول أن أدفع عن بلادى أى أذى محتمل .
- وشيدت معبدا للإله ، وخصصت له أراضي كان يتتفع منها القراء .
- ولكن للمعابد حقوقا فوق كل الحقوق .
- كلام غير مقبول ، إذا لم تراع الظروف والملابسات .
ولاذ الملك بالصمت ، فقال أوزوريس :
- ولم توفر الرعاية الكافية لعمال المناجم ، فهلك منهم كثيرون .
قال الملك :

- لا يتم إنجاز عمل كبير بدون تضحيه وضحايا .
ثم وجه أوزوريس الخطاب إلى الوزير أختب ، وقال :
- حدثني : ماذا كان موقفك من سياسة الملك ؟ .
قال الوزير أختب :



- كان رأي أن العلاقات التجارية أفضل نتيجة من الغزو ، لتأمين الحدود . وأن نفقات المعبد يجب أن تؤخذ من مصر ، ويعنى منها أهالى النوبة الفقراء . كما رجوت ألا نرسل البعثات إلى الصحراء الشرقية ، قبل أن نوفر لها الرعاية الطبية والتدريب الكاف . ولكن الملك ، كان متلهفا على تحقيق الأمان والرخاء لمصر وأهلها .

فقال له أوزوريس :

- لا تحاول الدفاع عن غيرك .. وحسبك الدفاع عن نفسك .

فطلبت إيزيس الكلمة ، وقالت :

- زوسر ملك عظيم رغم هفواه . وأختب ابن عزيز تتشرف به أمّة ..
وهنا قال أوزوريس :

- أيها الملك ، سأكتفى بلومك . فاجلس أنت وزيرك بين الخالدين .
فجلس زوسر إلى يمين مينا . وجلس أختب إلى يمين زوسر .

٣

ونادى حورس :

- الملك خوفو .

فجاء الملك بقامته المتينة المائلة للطول ، عارى الرأس ، حاف القدمين ، متلفعا بكفنه ، حتى مثل أمام العرش بخشوع .

وقرأ تحوت كاتب الآلة :

- الملك خوفو ، رئيس الأسرة الرابعة ، صاحب الهرم الأكبر ، نظم الإدارة
تنظيميا لم نعرفه من قبل ولا من بعد . وفي عهده ، فاضت الأرض بالخيرات ،
وعمرت الأسواق ، وبلغت الزراعة والصناعة والفنون أقصى درجات الرفعة .
وانطلقت هيبة فرعون في الآفاق ، ساطعة كالشمس ، فهابتها القبائل وشمل
السلام البقاع والناس .

ودعا أوزوريس الملك للكلام ، فقال :

- فُتنت منذ صغرى بالدقة والنظام . وآمنت بأنه يجب أن يكون لكل نشاط

قوانين وتقاليد ، لا فرق في ذلك بين الشرطة والنحت أو العمار أو الحياة الزوجية . وأصبحت مصر مجموعة من التقاليد السامية والنظم الدقيقة . وهو ما أعانتى على تشييد أعظم بناء عرفه الإنسان . اشتربت فيه الألوف المؤلفة على مدى عشرين عاما ، فلم يتسلل إليه اضطراب أو إهمال ، ولم يحرم أحد من العاملين فيه من العناية والرعاية ، ولم يغب في الوقت نفسه عن عين الرقابة الساهرة . هكذا خاض قومى تجربة فذة ، بنجاح مثالى ليس له نظير .

فقال أوزوريس :

- هل سخرت أمتك لبناء قبر لك ؟ .

فقال الملك خوفو :

- لو أردت قبرا لحفرته في الجبل ، بعيدا عن الأعين الطامعة . ولكنني شيدت رمزا للخلود الإلهي ، يحوى من الأسرار ما لا يحيط به عقل بشر . وقد تنافس الناس في العمل به . فأفاقت لهم مدينة كاملة ، وسعيدة ، ومقدسة . وكان الجهد يبذل من أجل الإله وحده . كان عملا يليق بالآحرار لا العبيد ! .

والتفت أوزوريس إلى الحالسين إلى يمينه ، الذين كتب لهم الخلود السعيد في العالم الآخر ، وقال :

- يُسمح بالكلام لمن يشاء .

فقال الملك مينا :

- عمل مجيد ، يذكرنى بناء منف العظيمة ، التي لم يهلى العمر لأتمها .

وقال الملك زoser :

- كان الأفضل ، توجيه القوة المتوفرة للغزو وتأمين الحدود .

فقال الملك خوفو :

- كانت خيرات البلاد المحاورة تأتيني بلا قتال . وكان حرصى على أرواح رعيتى لا يقل عن حرصى على الجند والخلود .

فقال له أوزوريس :

- ولكنك أزهقت روحًا بريئة ، عندما تنبأ لك رجل بأن عرشك سيرثه طفل ليس من سلالتك .

- على الملك أن يدافع عن عرشه ، دفاعه عن وحدة أمته . وفي سبيل ذلك ..
يصيب وينطئ .

- ألم تكن في ذلك تحدي إرادة الإله ؟ .

- نحن نفعل ما نراه واجبا . ويفعل الإله ما يشاء .

وطلبت إيزيس الكلمة ، وقالت :

- هذا ملك منير ، مثل الشمس ، في سماء العروش . وكم من امبراطوريات
تلشت ، وبقي هرمه شاخعا . وكثيرا ما كانت عظمته مثار حسد لدى العاجزين من
بني وطنه ومن الغرباء .

وعند ذلك قال أوزوريس :

- اجلس أيها الملك على كرسيك بين الخالدين .

٤

ونادى حورس :

- الحكم بتاح حتب .

فدخل رجل نحيل صغير الجسم وقور ، لم يقلل من وقاره عرى رأسه وعرى
قدميه . وتقدم على مهل ، حتى مثل ف أدب ، أمام العرش .
ومضى تحوت كاتب الآلة يقرأ :

- الحكم بتاح حتب ، عاش مائة وعشرة سنوات . عمل وزيراً للملك
أسيسي ، أحد ملوك الأسرة الخامسة . له وصايا قيمة ذاتعة الصيت .

ودعاه أوزوريس للكلام ، فقال :

- تلقيت العلم في معبد بتاح . وظهر تفوق منذ صبائ . وعملت كاهنا مدة من
الزمن ، حتى اختارني الملك وزيرا له . وكانت أيام الحجد والعظمة قد زالت ، وكأنها
لم تكن . وتولى العرش ملوك ضعاف لا قوة لهم ولا حكمة . شغلتهم أهواؤهم عن
البناء والتدبير وتحقيق الأهداف . فقوى نفوذ الكهنة . وطمع حكام الأقاليم في
السلطة والمكاسب والمارب .

فُعَانِي الْفَلَاحُونَ مِنَ الظُّلْمِ وَالْهُوَانِ ، وَارْتَفَعَتْ أَنَّاتُ الشَّكَاوِيِّ ، وَأَصْبَحَتْ
الْحَيَاةُ قَائِمةً .

وَدَأَبَتْ عَلَى تَأْمِلِ الْأَحْوَالِ بِمَرَارَةٍ ، وَأَذْهَلَتْنِي الْعَلَاقَةُ الْمُهِمَّةُ بَيْنَ الْآلهَةِ وَالنَّاسِ .
وَلَمْ أَقْصِرْ فِي إِبْدَاءِ الْمُشَوَّرَةِ . وَلَكِنَّهَا ضَاعَتْ وَسْطَ التَّسِيبِ وَالْأَنَانِيَّةِ . وَلَا بَلَغَتْ
الْعَاشرَةَ بَعْدَ الْمِائَةَ ، اسْتَدْعَانِي الْمَلِكُ ، وَأُمْرَنِي أَنْ أَضْعِفَ كِتَابًا أَجْمَعَ فِيهِ مُخْتَارَاتِنِ
وَصَابِيَّاً .. فَفَعَلْتُ .

فَقَالَ لِهِ أُوزُورِيسْ :

- أَسْمَعْنَا بَعْضًا مِنْ وَصَابِيَّكَ .

فَقَالَ بَنَاحُ حَتَّبْ :

- إِذَا دَعَاكَ كَبِيرًا إِلَى طَعَامٍ ، فَاقْبِلْ مَا يَقْدِمُهُ لَكَ ، وَلَا تَنْكِلْ إِلَّا عِنْدَمَا يَسْأَلُكَ .
- مَا سِرَّ اهْتِمَامِكَ بِآدَابِ الْمَائِدَةِ فِي وَصَابِيَّكَ؟ .

فَقَالَ بَنَاحُ حَتَّبْ :

- قَصَدْتُ فِي الظَّاهِرِ آدَابَ الْمَائِدَةِ ، وَلَكِنِي فِي الْحَقِيقَةِ قَصَدْتُ التَّعْرِيْضَ يَجْشَعُ
الْكَهْنَةَ ، الَّذِينَ كَانُوا يَطَالُّونَ بِالْمُزِيدِ مِنَ الْأَوْقَافِ وَالْمُخْصَصَاتِ ، وَيَتَخَمُّونَ بِالْمَأْكُلِ
وَالْمَشَارِبِ .

فَقَالَ أُوزُورِيسْ :

- أَسْمَعْنَا مُزِيدًا مِنْ وَصَابِيَّكَ .

فَقَالَ بَنَاحُ حَتَّبْ :

- لَا تَخْنَنْ مِنْ ائْتِمَنْكَ ، لِتَرْدَادِ شَرْفًا وَيَعْمَرْ بَيْتَكَ . وَقَصَدْتُ حُكَّامَ الْأَفَالِيمِ ،
الَّذِينَ دَأْبُوا عَلَى بَسْطِ نَفْوذِهِمْ ، مُتَحَدِّينَ وَحْدَةَ الْمُلْكَةِ .

وَهُنَا تَسْأَلُ الْمَلِكُ مِنْنَا :

- هَلْ نَسَوَا الدَّمَاءَ الَّتِي سَفَكْتُ فِي سَبِيلِ الْوَحْدَةِ .

فَقَالَ الْمَلِكُ خَوْفُو :

- وَكَيْفَ اسْتَهَانُوا بِالتَّقَالِيدِ وَالْأَخْلَاقِ الَّتِي تَقْدَسَتْ فِي عَهْدِي .

وَأَشَارَ أُوزُورِيسْ إِلَى الْحَكِيمِ بَنَاحِ حَتَّبِ لِيَوَاصِلِ حَدِيثَهِ ، فَقَالَ :

- قَلْتُ أَيْضًا «إِذَا دَخَلْتَ مَنْزِلَ غَيْرِكَ ، فَاحْذَرْ أَنْ تَوْجَهْ ذَهْنَكَ إِلَى مَخْدَعِ

نسائه ، فكم هلك أناس من جراء ذلك » ..
وقد قلت ذلك بناء على ماذاع عما يجرى في حرم القصر.

فسأله أوزوريس :

- ألم يكن الملك يسىء معاملة حرمه ؟

- من أجل ذلك قلت أيضا : « إذا كنت عاقلا ، فدبر متراك وأحب زوجتك ، شريكتك في حياتك ، وقدم لها الطعام والملابس ، وأحضر لها العطور ، وأدخل عليها السرور ، ولا تكن شديدا معها ، فاللذين تملك قلبهما ، وأذ مطالعها الحقة لي-dom معها صفاوتك ويستمر هناؤك .

فقال أوزوريس :

- أسمعنا وصية موجهة للجميع .

- لا ترك التزيين بزينة العلم ودماثة الأخلاق .

فقال الملك مينا :

- لم يكن في عصرى حكماء ، ومع ذلك حرر الرجال أرضهم ووحدوا مملكتهم .
وها هو عصر الخلال وفساد ، لم يتمخض عن فعل شيء ذى قيمة ، ولكنه ترك بعض الكلمات الجميلة . فما جدوى الحكمة ؟ .

فاعتراض خوفو قائلا :

- الحكمة تعيش كاهرم وأكثر .

وقالت إيزيس :

- لا تقللوا من قيمة ابني الحكم . نحن نحتاج إلى الحكم في عصور التدهور ، كما نحتاج إلى الطيب في أيام الأوثة .

وسيظل للكلمة الطيبة توهجها على الدوام .

وأخيرا قال أوزوريس :

- اذهب إليها الحكم إلى كرسيك بين الحالدين .

وصاح حورس بصوته الجهوري :

ـ ثوار فترة الظلام ، الممتدة ما بين سقوط الدولة القديمة وقيام الدولة الوسطى .
فدخلت جماعة متفاوتة الأشكال والأحجام . ومضت في أكفانها عارية الرءوس
حافية الأقدام ، حتى مثلت في صيف واحد أمام العرش .
وتلا تحوت كاتب الآلة صفحة جديدة :

ـ هؤلاء هم رءوس الثورة ، قادوا الجماهير الغاضبة في ثورة دموية مخربة ، ثم
حكموا البلاد عهدا طويلا ، امتد ما بين سقوط الدولة القديمة وقيام الدولة الوسطى .
ولم يتركوا وراءهم أثرا يدل عليهم ، إلا المعابد المهدمة والقبور المنهوبة والذكريات
المرعبة .

قال أوزوريس :

ـ رشحوا من يمثلكم للكلام .

فأشروا إلى رجل نحيل طويل ، جامد الوجه كأنما شق من صخر .
وقالوا :

ـ أبنوم ، فهو أول من دعا إلى العصيان والقتال .

فدعاه أوزوريس إلى الكلام ، فقال أبنوم :

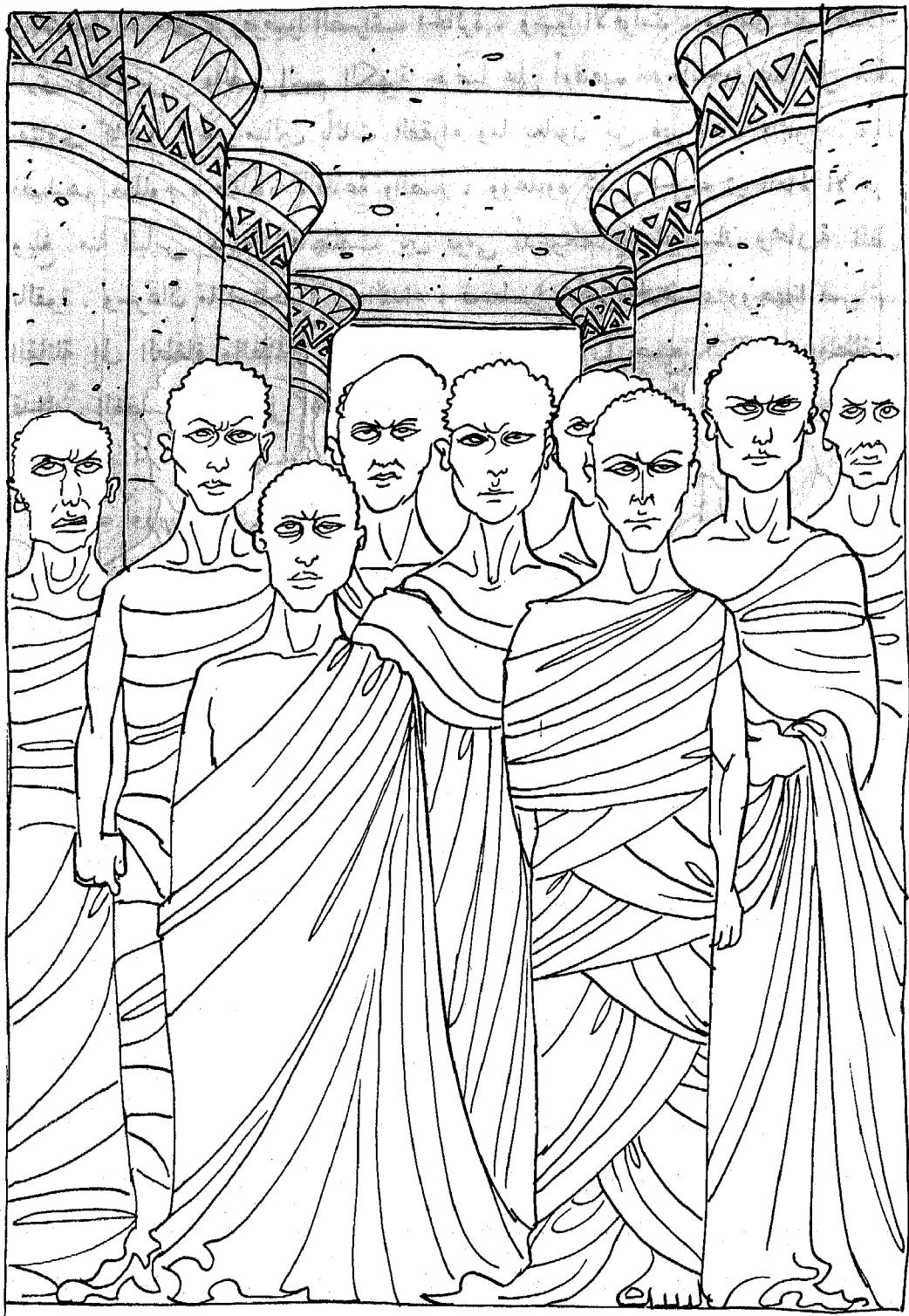
ـ تجاهل التاريخ أسماعنا وأفعالنا . فهو تاريخ يدونه الخاصة . ونحن من عامة
الفلاحين والصناع والصيادين . ومن عدالة هذه القاعة المقدسة أنها لا تغفل أحدا .
وقد تحملنا من الآلام فوق ما يتحمل البشر . ولما انصب غضبنا التاثير على عفن الظلم
والظلمة ، نعمت ثورتنا بالفوضى ونعتونا باللصوص . وما كانت إلا ثورة على
الطغيان ، باركتها الآلة ..

فسأل خوفو :

ـ كيف تبارك الآلة العدوان على المقدسات ؟ .

قال أبنوم :

ـ بدأت المأساة بضعف الملك بيبي الثاني وعجزه ، لكبر سنها ، وعدم معرفته بما



يجرى حوله ، وتصديقه لأكاذيب المنافقين له . فاستقل حكام الأقاليم بأقاليمهم ، واستبدوا بالأهالي ، وفرضوا الضرائب الجائرة ، ونهبوا الأقوات ، وأهملوا أى إصلاح للرى والأرض . وانضم إليهم الكهنة حرضا على أوقافهم ، فأباحوا لهم كل منكر بفتاوی كاذبة ، غير مبالين بأنات القراء وما يعانون من قهر وذل وجوع . وكلما قصدتهم مظلوم ، طالبوه بالطاعة والصبر ، ووعدوه بحسن الجزاء في العالم الآخر . وبلغ منا اليأس غايته . فانطلقت بين قومي أدعوهم إلى العصيان ومحاربة الظلم بالقوة . وسرعان ما استجابوا إلى النداء ، فحطموا حاجز الخوف ، ووجهوا ضرباتهم القاتلة إلى الطغاة والظالمين . وسرت النار المقدسة إلى جميع البلاد ، وانطلقت قذائف الغضب التأثر على الحكام والموظفين ورجال الدين . ثم استولينا على مقايد الحكم .

فقال أوزوريس :

- أما قرأت أشعار أيبور الحكم التي ترثي المقدسات وما حل بالصفوة وضياع القيم في عهدهم ؟ .

فقال أبنوم :

- كان أيبور شاعرا حقا ، ولكنه كان يتمسّى إلى طبقة السادة الظالمين . ففاضت دموعه حزنا على الطغاة ، وعظم عليه أن يخل محلهم أبناء الشعب .

فقال الحكم بتاح حتب :

- أنت تتحدث ياً بنوم ، من منطلق حقد أسود . وهو إثم كبير .

فقال أبنوم :

- السادة الظالمون هم الذين زرعوا في صدورنا هذا الحقد .

فقال الملك روسر :

- ما أسمع .

- عجيب ، وحق الآلهة ، ما أسمع . ما مصر إلا « مرگ » من تقاليد مقدسة ، إذا احتل منه عنصر تطوير البناء وتفتت . ففرعون هو الإله المجسد . والصفوة هم نوابه الذين يعكسون نوره . والموظفوون هم أتباعه المبلغون لرسالته . فكيف يخل مكان كل هؤلاء ، قوم من الفلاحين والصناع والصيادين ؟ .

قال أبوم :

لقد حلو محلهم بالفعل ، وأثبتوا أنهم خير منهم . وأثبتوا أن الآلة تتجسد فيمن يرفع راية العدل والرحمة ، أيًا يكون ..

فهتف الملك زoser :

- يالله من وقع ! .

فالتفت إليه أوزوريس قائلا :

- لا اسمح بتجاوز الأدب في المناقشة . اعذر .

قال زoser في خشوع :

- أقدم المعدنة والأسف .

قال أوزوريس مخاطبا الجالسين على كراسى الخلود :

- تسمح الحكمة لكم بالمناقشة ، ولكن في حدود الأدب .

وتذكروا جيدا أنكم ستناقشون أناسا جدت لهم معتقدات غير معتقداتكم .

ثم التفت إلى أبوم ، وقال :

- كان عهدهم عهد ظلام . فلم يترك آثارا ولا وثائق ؟ .

قال أبوم :

- ذلك من فعل المؤرخين وإغافالهم لنا . لقد أقام الفلاحون حكومة من أبنائهم ، حكمت البلاد ، فاستتب الأمن ، وانتشر العدل ، وامتد ظل الرحمة . شبع القراء ، وتلقوا العلم والمعرفة ، وتولوا أكبر المناصب . وقامت دولة لا تقل في عظمتها عن دولة الملك خوفو . ولكنها لم تبدد المال في بناء الأهرامات ولا في الحروب . وأنفقته في النهوض بالزراعة والصناعة والفنون وتجديد القرى والمدن . ولما رجعت مصر بعدها إلى عصر الملوك ، أحرقوا وثائق البردي المسجلة فيها أعمالنا .

قال الملك خوفو :

- غابت عنك الحكمة من بناء الهرم .

وقال الملك زoser :

- وغابت عنك الحكمة من إعلان حرب لغزو بلد على الحدود .

قال أبوم :

- كان شعارنا أن تربية فلاح خير من بناء معبد .

فقال الحكمي بتاح حتب :

- نطقت بالكفر .

فقال أبنوم :

- ليس الإله بحاجة إلى معبد . ولكن الفلاح بحاجة إلى التربية . من أجل ذلك
باركتنا الآلهة ، فحكمنا مئات السنين في سلام ورخاء .

فسائل الملك زوسر :

- إذن فلماذا انهارت مملكتكم .

- انهارت عندما نسي الحكام أصلهم الذي نشأوا فيه ، وتوهوا أنهم منحدرون
من صلب «رع» ، فأصابهم التكبر ، وتسلّل إليهم الظلم ، فنزل بهم ما ينزل بكل
ظالم .

فقال أوزوريس :

- تخيل ثورتكم ارتكاب جرائم فاضحة لا يقرها دين أو خلق أو قانون .

فقال أبنوم :

- أشهد أمام عدالتكم بأنني لم أمر بها ، ولم يبلغني خبر عنها ..

وهنا قالت إيزيس :

- أقر لهذا الابن بأنه من أحكم أبني وأبنائهم . سعدت بلادي في عهده سعادة
لم تذقاها من قبله ولا من بعده .. وإيمانه يشهد له بالصدق والقوى . أما ما ارتكب
من جرائم في ثورته ، فلا تخلي الجماهير الثائرة من مجرمين يندسون في جموعها ،
يشبعون نزواتهم .

وفكر أوزوريس وقتا ثم قال :

- اذهبوا ياسادة إلى مجالسكم بين الخالدين .

ونادى حورس :

- الملكة تحبسوت .

فدخلت امرأة متوسطة القامة ، مليئة البناء ، ومضت في كفنه حتى مثلت أمام العرش .

وقرأ تحوت كاتب الآلهة :

- مضى عصرها في سلام ورخاء . وقد شيدت معبد الدير البحري . وأحيطت الصالات ببلاد نبت ، وأحضرت منها شجرة المر ، وغرسه في ساحة المعبد . وانهالت عليها الجزية من البلاد التابعة لمصر ، فانتشر الضراء ورضي الناس .

ودعاها أزورويس إلى الكلام ، فقالت :

- كنت الوحيدة المستحقة لعرش أبي تحتمس الأول . فأنا آخر من بقي من ذرية الملكة أحعموس ، ودمائى ملكية إلهية بخلاف أخي تحتمس الثاني ، الذى كان ابنا لزوجة غير شرعية تدعى موت نفرت ، وأخي تحتمس الثالث الذى كان ابنا لخطيبة تدعى إزييس .

وقد اضطررت للزواج من تحتمس الثالث ، احتراماً لتقاليد بالية ، تستعبد حكم النساء . وعمل كاهناً في معبد آمون . ولم يكف عن المكاييد للوصول إلى العرش . وعاونه على ذلك كهنة آمون . وقد تغلب علينا أخي تحتمس الثاني بفضل تنظيم حزبه ، وانتزع الملك منا . ولما مات عاد الحكم إلىّ ومعي تحتمس الثالث . وقد فرضت حصاراً حوله من الرقابة ، لابطال مكائده ، فازروى في الظل لا قيمة له . واستعنت برجال من أكفاء الرجال وأعظمهم . ووهبت للناس عصراً ذهبياً من السلام والرخاء ، حتى آمنوا بالمرأة وقدرتها على الحكم ..

فقال أبنوم :

- في عهدهنا الذي دفتموه في الظلم ، حكمت ملكتان عظيمتان .

وسألهما الحكيم أتحب :

- ولماذا لم تدعّم عرشك بإشراك أخيك في الحكم ؟ .

فقالت حتشبسوت :

- لم يكن مثلى من سلالة الشمس . وكانت سابقته في تدبیر المکائد لى ، أوجبت على الحذر منه . وقد أشاروا على باغتیاله ، ولكنني كرهت الغدر وسفك الدماء .

فقالت إيزيس :

- ابنته تفخر بها أى أم . وليس في حاجة إلى دفاع .

وقال أوزوريس :

- إلى كرسiek بين الخالدين .

٧

ونادى حورس :

- الملك تختمس الثالث .

ودخل رجل قصير القامة ، متین البنیان ، تنطق معالم وجهه بالجلال . فتقدّم متلفعا بكفنه ، حتى مثل في خشوع أمام العرش .

وقرأ تحوت كاتب الآلهة :

- تولى العرش عقب وفاة حتشبسوت . فطهر الإداره من خصومه ، وقبض على النظام بيد من حديد . أكرم كهنة آمون ، ووضعهم في متزلة السيادة ، على غيرهم من الكهنة وأعد جيشا وأسطولا لم تعرف البلاد لها نظيرا من قبل . وخاض غمار حروب عديدة ، تمحضت عن إنشاء أكبر امبراطوريه شهدتها العالم القديم حتى وقته ، وخضعت لسلطانها آسيا الصغرى وأعلى الفرات وجزر البحر ومستنقعات بابل ولبيبا وواحات الصحراء وهضاب الصومال وشلالات النيل العليا . فاصبحت مصر ملتقى الأجناس من جميع الأمم ، ومستودع الخيرات والسلع . وأقام المعابد والخصوص والمسلاط في مصر وجميع البلاد التابعة لها . وترك وراءه وطنا يتربع فوق قمة العظمة والحضارة .

فدعاه أوزوريس إلى الكلام ، فقال :

- ذقت الظلم في مطلع حياتي ، كما لم يذقه ملك . كنت أحق إخوتي بالعرش ،



لما أودعته في الآلهة من قوة ، ولما حصلته من علوم الدنيا والدين . ولكنني حرمت من حق ، لسبب تافه ، هو أصل أمي . وعشت في الظل كرجل لا وزن له . ولما قبضت على مقاليد السلطة بعد موت الملكة حتشبسوت ، أنزلت العقاب بالرجال الذين اغتصبوا سلطى الشرعية . وكانت الامبراطورية حلمي الأكبر ، لا جبًا في القتال أو طمعًا في الثراء ، ولكن دفعا لشعاع الحضارة المصرية ليعم نوره الأقوام الذين من حولنا ، ولكن يختل آمن مكانته الرفيعة بين جميع الآلهة .

فقال أحمس (وكان قد جاء في دوره ، وحُكِم له بالدخول مع الخالدين) :
- أشهد بأنك حفقت أحلامنا جميعا . وحسبك أنك عرفت النصر عشرات المرات ، ولم تعرف المهزيمة مرة واحدة .

وأسأله أبنوم :

- ماذا قدمت لل فلاحين ؟ .

فأجاب تحتمس الثالث :

- كان منهم جنودي وضباطي وقادسي . وقد أصلاحت وسائل الرى ، وأشبعـت احتياجاتـهم ، فقتلـت الفـقـرـ في رـبـوـعـهـمـ ، وتحـوـلـ مـنـهـمـ جـمـعـ غـفـيرـ لـلـعـمـلـ فـيـ المـدـنـ ، فـشـتـ الصـنـاعـاتـ وـالـحـرـفـ وـالـتـجـارـةـ .

فقال الحكيم بتاح حتب :

- لقد قـامتـ اـمـبرـاطـوريـتـكـ عـلـىـ الـآـلـافـ الـمـؤـلـفـةـ مـنـ جـاجـمـ الـمـصـرـيـنـ وـالـأـمـمـ ! .

فقال تحتمس الثالث :

- الموت لا مفر منه . وأن يموت الإنسان وهو يبني المجد ، خير من أن يهلك في وباء أو بسبب لدغة ثعبان . والحق أنـى لمـ أـكـنـ جـبارـاـ وـلاـ مـحـباـ لـسـفـكـ الدـمـاءـ . ورسمـتـ خطـطـيـ عـلـىـ أـسـاسـ المـفـاجـأـةـ وـالـاتـقـانـ ، لأـحـصـلـ عـلـىـ أـسـعـ نـصـرـ بـأـقـلـ تـكـلـفةـ منـ الـأـرـوـاحـ . وـعـقـبـ حـسـارـ مـجـدـ ، وـقـعـ فـيـ يـدـىـ جـمـيعـ أـعـدـائـ مـنـ الـمـلـوـكـ وـالـأـمـرـاءـ وـالـجـنـوـدـ ، فـتوـسـلـواـ إـلـىـ أـنـ أـهـبـهـمـ الـحـيـاةـ . فـرـقـ قـلـبـيـ لـهـمـ وـوـهـبـهـمـ الـحـيـاةـ ، وـأـرـسـلـتـ أـبـنـاءـهـمـ إـلـىـ طـيـةـ لـيـتـلـقـوـاـ الـعـلـمـ وـالـحـضـارـةـ ، وـلـيـتـأـهـلـوـاـ لـحـكـمـ بـلـادـهـمـ مـكـانـ الـحـكـامـ الـمـصـرـيـنـ ، وـهـىـ سـيـاسـةـ إـنـسـانـيـةـ حـكـيـمـةـ لـمـ تـعـرـفـ مـنـ قـبـلـ .

فقالـتـ الـمـلـكـةـ حـتـشـبـسوـتـ :

— لولا الثراء الذى تركه لك ، ما استطعت أن تحشد حملة واحدة من حملاتك العديدة على آسيا .

فقال تختمس الثالث :

— حقا ، أورثتني ثراء في المال ، ولكنك تركت الجيش في حال تستحق الرثاء ، وسرى الفساد بين رجالك المقربين ..

فقالت حتشبسوت :

— مازلت حاقدا ، سيء الظن ، فاسد الطوية ، ومازالت مصرًا على اتهامى في شرف دون دليل ..

فقال أوزوريس :

— حسبكما تبادل للكلمات الجارحة .. وهنا سأله إيزيس :

— أكنت تحبها يابنى ؟ .

فقال تختمس الثالث :

— كانت تسخر من قصر قامتي ، التي سجد أمامها ملوك جميع الأمم .

فقالت إيزيس :

— هذا الابن العظيم ، جدير بأن تفخر به مصر على مدى التاريخ .

فقال أوزوريس :

— اذهب إلى مجلسك بين الحالدين .

٨

ونادى حورس :

— الملك أمنحتب الثالث والملكة تي .

ودخل الزوجان الملكيان . وتقدما في كفينهما ، حتى مثلًا أمام العرش .

وقرأ نحوت كاتب الآلة :

— دعيت الملكة تي مع الملك ، لمشاركتها له في الحكم . وكان عهد هذا الملك

عهد رخاء وعز ، لم يسبق له مثيل ، استقبلت مصر فيه خيرات الأمم وأموالها . وسهر على امبراطوريته بيقظة وكفاءة . فأدّب أى متمرد أياً كان موقعه . واستمتع بالحياة كما لم يستمتع بها ملك من قبل . فشيد القصور والمعابد ، وعشق الطعام والشراب والنساء . وفي آخر أيامه تزوج من ابنة ملك متياني ، وكانت في سن أحفاده ، فعجلت بوفاته .

ودعاه الملك للكلام ، فقال :

- ورثت عن جدى العظيم تختصس الثالث ، امبراطوريته . فعقدت العزم على أن أرث عظمته أيضا . ولم يكن هناك مجال لتوسيع الامبراطورية . فقوّيت دعائمها ، وأدّبت متمرديها . ثم مارست العظمة في البناء والتممير ، وتوفير الرخاء الشعبي ، وتحديث التقاليد . فتروجت فتاة من الشعب ، كانت خير شريك لي في ملكي ، بما كانت عليه من فطنة وحكمة . وخلفت ورائي عهدا سيظل رمزا للسعادة والرخاء .

فقالت الملكة حتشبسوت :

- سرتني شهادتك للملكة ، واعترافك لها بالجدارة . فهي شهادة للمرأة ، وفيها رد بلغ على أعدائي .

فقال أمتحتب الثالث :

- تي ملكة عظيمة .. بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء .

فقال أبنوم :

- ولكنك جازيتها أسوأ الجزاء ، بولعك النهم بالنساء ، وتعلقك الشديد بهن

فقال أمتحتب الثالث :

- لكل ملك حرمه . وتلك الأهواء العابرة ، لا تناهى من مكانة الملكة العظيمة ..

- وتتزوج فيشيخوختك بنتا في سن حفيدتك ؟

فقال الملك :

- أردت أن أوثق علاقة مصر بيتياني .

فقال أوزوريس :

- لا يجوز الكذب في هذه القاعة المقدسة .

قال أمنحتب الثالث بصوت المعذير :

- الحق ، سمعت عن جهالها الفائق ، وكنت مجذونا بالجهال . ورغم الشيوخوخة والمرض ، أفرطت في الحب حتى قُضى علىّ .

فأله الحكم بتاح حتب :

- أهذه قمة حكمة العمر؟ .

قال أمنحتب الثالث :

- ميّة الحب أفضل من ميّة المرض .

* * *

ودعا أوزوريس الملكة تي للكلام ، فقالت :

- اختارني الملك زوجة عن حب . وانجذبت إليه ميهورة بالحب ، وبأبهة الملك . وربط الحب بيتنا حتى آخر العمر . وقد استشارني مرة في بعض شؤون الملك ، فأرضاه رأيي غاية الرضى ، وقال لي «أنت ياتي امرأة حكيمة بقدر ما أنت أنتي محبوبة». ومن يومها ، لم يقرر أمرا حتى يستمع إلى رأيي ، وجعلنا نستقبل الوزراء والمسئولين معا ، وأشارك برأيي في المسائل المطروحة على بساط البحث . واعترف كل مسئول في المملكة بقدري وحكمتي . وجاء إلى الكهنة في اضطراب ، إبان الأزمة الدينية التي استفحلا أمرها ، بسبب دعوة أبني اختناتون . وقد بذلت أقصى جهدى لتجنب الكارثة ، ومنع الحرب الأهلية . أما عن ولع زوجي بالنساء ، فقد كان لكل فرعون حريم ، ولم تستأثر زوجة بملك . بل لم أجده بأسا في انتقاء الجميلات له ، حتى تصفو نفسه ، وينهض بمسئوليته على خير وجه ، وقهرت بقوة إرادتني غيرة المرأة الطبيعية عندي ، وأقنعت نفسي بأن الملكة ليست امرأة عادلة ، بل إنها مسؤولة عن مزاج زوجها ، كما أنها مسؤولة عن سياساته .

فسألتها حتى شبسوت :

- ألم تنهزم «الملكة» أمام «المرأة» .. ولو مرة؟

قالت تي :

- لم أعرف المزيمة إلا أمام ابني ..

قال الحكيم بتاح حتب :
- ولكن المرأة هي المرأة ..

قالت تيبي :

- ولكن تي مثال وحدها ، وطراز .. لا يتكرر !

قالت إيزيس :

- أثبتت هذه السيدة ، جداره المرأة بالحكم أكثر من حتشبسوت نفسها . وكان زوجها ملكاً عظيماً . وهيئات أن ينقص من قدره ولعه بالنساء ولذة العيش . وقد تقلب في النعيم بعد أن يسره لعامة شعبه . فقلب معه في النعيم . فليهنا قلبي بهذا الابن وهذه الابنة .

قال أوزوريس :

- إلى مجلسكما بين الخالدين .

٩

ونادى حورس :

- الملك اخناتون والملكة نفرتيتي .

فدخل رجل وسيم الوجه وأمرأة جميلة . وتقديماً في كفينهما حتى مثلاً أمام العرش .

وقرأ تحوت كاتب الآلهة :

- ورثا العرش والحكم شريكين . فجّر ثورة دينية ، فدعا إلى عبادة إله جديد واحد . وألغى الدين القديم وألهته . وبشر بالحب والسلام والمساواة بين البشر . تعرضت البلاد في الداخل للانحلال والفساد ، كما تعرضت الامبراطورية للتمزق والضياع ، ومضت الأوضاع إلى حافة الحرب الأهلية . فسقط الملك . وقضت ثورة مضادة على ثورته . ومحا المؤرخون والملوكي عهده من التاريخ ، واعتبروه شر عهد انقض على حضارة مصر فأوشك أن يبيدها .

ودعاه أوزوريس إلى الكلام ، فقال أخناتون :

- منذ الصغر ، وأنا مواطن على ملة روحى بالمعرفة والحكمة الإلهية ، حتى
هبط على قلبي وحى من السماء يحمل نور الإله الواحد ، ويطالبنى بالدعوة إلى عبادة
هذا الإله الواحد . فكُرست حياتي لذلك . ثم لما وليت العرش كرسنته لخدمة نفس
الهدف . وسرعان ما قام صراع وحشى بين دعوى النورانية .. وبين ظلمات الجهل ،
والتقاليد ، وأطلاع الكهنة ، والحكام المتعطشين إلى الجاه وإلى استبعاد الفلاحين
ورعايا الامبراطورية . ولم يتسلل الضعف أبداً إلى جهادى الروحى ، ولم أرض
باستعمال العنف أو القهر ضد من عادنى . وذقت النصر أعواماً ، فنشر الخير
جناحه . ولكن قویت المكائد والدسائس ، وزحفت جيوش الظلام حتى حاصرتني
من جميع الجهات ، فتهاوت وحلّت بي الهزيمة . ولكن ثقتي في النصر النهاي لم
تترنزع أبداً . فلم يعرف ملك حياة أسمى من حياتي ، ولا ابئلي بنهایة أتعس من
نهائي ..

وقالت الملائكة نفرتني :

- صدق فيما قال يامولاي . لقد جاهدنا جهاد الأبطال ، حتى غلبتنا قوى
الشر ، فتهدم البنيان المرتفع ، وتساقطت أركانه ..
وكان الوزير أمحتب ، أول الملعونين ، فقال :

لقد كنا نظن أن هناك قوة إلهية واحدة وراء آمون ورع وبتاح وسائر الآلهة .
ولكننا لمسنا تعلق الناس بالرموز المحسدة لهذه القوة التي لا يرونها ، فيلتقون حول هذه
الرموز في كل إقليم ، يستمدون منها القوة والعزاء . فتركنا الأمور تجرى على ما جرت
عليه ، رحمة بالقلوب المؤمنة ، وحفظا لها من الضياع .

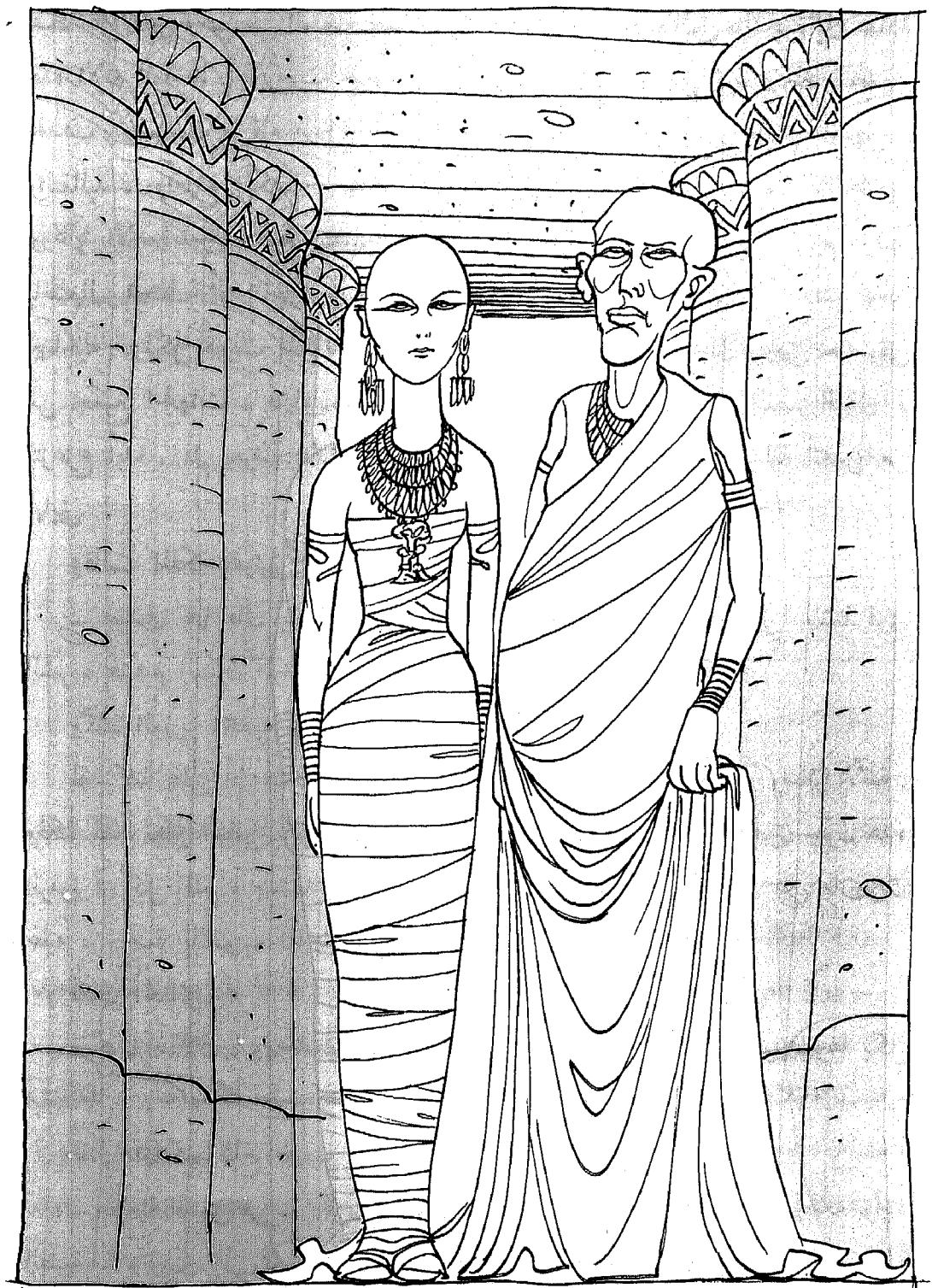
فقال أخناتون :

- هذا ضلال . ووجدت أنه آن للناس أن يعرفوا الحقيقة ، ويواجهوها بكل
أبعادها .

فقال الحكم بتاح حتب :

- معاملة الناس فن ، وفن صعب أيها الملك . ومن لا يحسنها ، فقد تخذله نوایاه
الطيبة ، وتؤدى إلى غير ما يقصد .. فيقتل من يحب وهو يسعى لإنقاذه .

فقال أخناتون :



- لولا ذوق الأغراض الخاصة ، لصلحت الأمور .

فقال أبنوم :

- وماذا فعلت بذوق الأغراض ؟

- عاهدت نفسي منذ البداية على التعامل بالحسنى ، وعدم الإيذاء والقهر .

فصاح أبنوم :

- ليس للإشارار إلا العصا والسيف :

فقال أختناتون :

- آمنت بالحب أتعامل به مع العدو والصديق .

فقال أبنوم :

- لقد ضيّعت رسالتك بسذاجتك . ورجل الخير ليس إلا مقاتلا .

فقال تختمس الثالث :

- لقد تركت لك أعظم إمبراطورية عرفها التاريخ . فكيف ضاعت في عهدهك ،
وتحت إمرتك جيش لا مثيل لقوته ؟ .

فقال أختناتون :

- كان مبدئي الحب والسلام ..

- زدني شرحا من فضلك .

- كنت أدعوا لإله واحد لجميع البشر . كلهم يتساون تحت مظلته . وكنت أدعو
إلى أن يحمل الحب بين الناس محل السيف .

فقال تختمس الثالث بغضب :

- طبعي أن تصيّع الإمبراطورية ، نتيجة لهذا الأسلوب من التفكير . أنت لست
إلا بحونا ! .

فقال أوزوريس :

- لا أسمح بتتجاوز حدود الأدب في النقاش . اعتذر فقال تختمس الثالث :

- معدنة . ولكنني أسجل أسفى على ضياع عمري هدرا .

وقال الملك مينا :

- لقد قامت وحدة مصر على السيف وعلى تلّ من الجاجم . وعلى نفس الأساس

كان يجب أن تقوم وحدة الامبراطورية .

فقال أختاً :

- لا جدوى من مناقشكم . فالمسألة بكل بساطة أني سمعت صوت الإله . أما أنت فلم تخل بكم هذه النعمة الإلهية .
وقالت الملكة نفرتيتي :

- كم كانت تطاردنا هذه الآراء من أعداء وأصدقاء . وقد حطمتنا الدنيا بجبروتها . ولكننا نقف اليوم بين يدي إله عادل .

- وعندي سألتها الملكة حتشبسوت :
- إذن ، لماذا هجرت زوجك في قفة الأزمة ؟
فأجبت نفرتيتي :

- لم يداخلي أبداً شك فيه . ولكنني توهمت أني بهجره ، قد أنقذه من القتل .
وهنا قالت إيزيس :

- هذا الابن ، آمن برسالة أراد أن ينقذ بها البشر . ولكن لم يكن أحد مستعداً لفهمه أو التفاهم معه . فكانت المأساة . وسوف أظل فخورة به إلى الأبد .
وقال أوزوريس :

- اجلس أنت وزوجتك بين الخالدين .

١٠

ونادي حورس :

- الملك حورمحب .

فدخل رجل متوسط القامة ، متين البناء ، صلب الملامح . وسار متلتفعاً في كفنه ، حتى مثل أمام العرش .

وقرأ تحوت كاتب الآلة :

- ول العرش ، رغم عدم انتهاءه إلى الأسرة المالكة . وتزوج من موت نجمت لكي يضفي الشرعية على ولايته ، بالرغم من تقدمها في السن . وانبرى بقوة للقضاء

على الفوضى والفساد والتسيب ، وإصلاح ما تخرّب من معابد على عهد أخناتون . وبفضله استتب الأمن والنظام في داخل البلاد ، أما الامبراطورية فقد أصبحت في خير كان .. باستثناء القليل .

ودعاه أوزوريس للكلام ، فقال :

- حقا ، لم أكن من الأسرة المالكة ، ولكنني أنتهى إلى أسرة عريقة من أسر الشمال . وقد نشأت نشأة عسكرية ، وأديت خدمات ناجحة في عهد الملك منتحب الثالث . ولما ولي أخناتون العرش ، قربني إليه ، ومنحني الناقة ، ولكنه للأسف ، لم يأخذ برأي في وجوب معاقبة المفسدين في الداخل ، وإرسال حملات لتأديب المتمردين في أنحاء الامبراطورية . ولما بلغت الأزمة أشدّها ، ولاحظ في الأفق نذر الحرب الأهلية ، تفاهمت مع كهنة آمون على التصفية النهائية لحكم أخناتون ، مفضلاً المصلحة العامة على عواطف الشخصية . واتفق رأي الجميع على جدارني بالعرش لمواجهة الفوضى الضاربة في أنحاء البلاد . ولكن رأى أن يُحترم القانون أولا . فتولى الملوك الثلاثة ، ساكرع وتوت عنخ آمون وآى . حكم الأول أربعة أعوام ، والثاني ستة أعوام ، والثالث أربعة أعوام . وعجزوا جميعاً عن مواجهة الأزمة . واستمر الاضطراب والفساد في عصورهم . وعقب وفاة آى ، قامت ثورة ونهبت المقابر . فلم أجد مفراً من تحمل المسؤولية . وقد تزوجت من موت نجحت أخت نفرتيتي ، لأنها كانت من أوائل الذين كفروا باخناتون ، وانضمت إلى الكهنة لإنقاذ البلاد .

ووُجِدَتْ المهمة أمامي ثقيلة ومشعبة . ولكن لم أكن أفقد القوة أو العزمة . فأحمدت الثورة ، ونظمت الجيش والشرطة والإدارة ، وراقت الموظفين ، ولم أرحم منحرفاً . ثم جددت المعابد ونظمت الأوقاف . وحميت الضعفاء من الأقوياء . ولو امتد في العمر أكثر مما امتد ، لاسترددت ما ضاع من امبراطورية العظيم تختمس الثالث .

وتكلم الملك خوفو ، فقال :

- قمت بعمل مجيد أيها الملك .

قال ابنوم :

- عمل مجيد حقا . ولا لوم عليك لعدم إرجاع السلطة إلى الشعب ، بما أنك من سلالة أسرة عريقة . وترجمتها الأمينة عندي ، أسرة عريقة في النهب والسلب .

فقال أوزوريس :

- لا أوفق على هذا الأسلوب في النقاش . اعتذر .

فقال أبنوم متوجهها :

- معذرة .

وقال تحمس الثالث بأسف :

- كنت جديرا بارجاع الامبراطورية إلى مجدها الأول .

فقال حورمحب :

- كانت البلاد مزقة ، وعلى حال من الفساد والفوضى تفوق الخيال .

وتكلم أختاتون فقال :

- لم أحب أحدا من أتباعي كما أحببتك يا حورمحب ، ولم أكرم أحدا منهم كما أكرمتكم . وكان جزائي أن ختنى ، وانضمت إلى أعداء الشعب وأعدائى . ثم هدمت مدینتى ومعبدى ، ومحوت اسمى ، وصيّبت على اللعنات ..

فقال حورمحب :

- لا أنكر شيئا من جميع ما قلت . وقد أحببتك أكثر من أي رجل عرفته ، ولكنني أحببتك مصر أكثر .

- وشاركت في محو عبادة الواحد الأحد ، وإرجاع الآلهة الزائفة إلى عروشها ..

فقال حورمحب :

- لم يكن ، في مقدرتى ، تجاهل ما تنبض به قلوب الملايين .

وهنا قالت له نفرتيتى :

- كنت تحبني يا حورمحب . فلما تزوجت من أختاتون ، أضمرت له الحقد .

فقال حورمحب :

- أقول لك أيتها الملكة ، في هذه القاعة التي لا يجوز فيها الكذب .. لم تشغلي المرأة أبدا من قلبي إلا أنهه جزء فيه . معركتى معكم كانت معركة وطنية - لا معركة غرامية !

وهنا قالت إيزيس :

ـ ابني هذا ، أقوى من أن يحتاج إلى دفاع .

فقال أوزوريس :

ـ إلى مجلسك بين الخالدين .

١١

ونادى حورس :

ـ الملك رمسيس الثاني .

فدخل رجل طويل القامة ، رشيق القدر تقدم في كفنه حتى مثل أمام العرش .

وقرأ تحوت كاتب الآلهة :

ـ تولى الملك عقب وفاة أبيه . وطَّد نفوذه مصرف النوبة وأسيا . حارب الحيثين ثم عقد معهم معاهدة سلام . ثم كرس حياته المديدة للبناء بصورة لم تعرفها البلاد من قبل . وكان عصره عصر تعمير وازدهار للفن والأدب والرخاء . وقد طال عمره حتى قارب المائة . واستمتع بالحياة طولاً وعرضًا . وأنجب من الأبناء ما يقارب الثلاثمائة .

ودعاه أوزوريس إلى الكلام ، فقال :

ـ الحق ، أنني اغتصبت العرش من أخيولي العهد . لاعتقادي بأن الوقت يتطلب ما أوتيته من قوة ، وأن ضعف أخي سيكون كارثة على البلاد لو ول العرش . وكنت طموحاً مقداماً . فصممت على أن أوفر لوطني في الداخل أقصى درجات الأمان والنظام والعدل والرفاهية ، وأن أرجع الامبراطورية لسابق عهدها المجيد . فوطدت نفوذني في الجنوب ، ثم تقدمت إلى فلسطين وسوريا ولبنان ، وأسرع إلى الحكام والأمراء يقدمون فروض الطاعة . ثم توجهت بجيشه إلى قادش ، لأنزل الضربة القاضية بعدوى القوى ، ملك الحيثين . وأوقعني سوء الحظ فيما يشبه الحصار . فأحاط بي العدو ، وبقية جيشه بعيدة عنى . وثار بي الغضب ، وخفت على كرامات مصر التي باتت أمانة بين يديه ، وصليت إلى إلهي طويلاً . ثم هجمت

على العدو ، وحولى شرذمة من الحرمس ، وانقضاضت على جموعه كالاصاعقة ، فترزلت قلوبهم ، وتواتت مصارعهم تحت ضرباتي ، فشققت بينهم ثغرة نفذت منها إلى جيشي . ثم كررنا عليهم ، فسحقناهم سحقا حتى رموا بأنفسهم في مياه النهر . وتم لنا النصر . وحاصرت قادش . فاقتصر ملكها معااهدة صلح وسلام ، لم أجد بأساساً بها ، خاصة بعد أن استرددت الامبراطورية عدا أجزاء لا يعتد بها . ثم رأيت أن أكسر حيati للبناء . فتروجت من ابنة ملك الحبيبين دعما للسلام . ورفعت من الأبنية ما لم يرفعه فرعون قبلي . وهياكل من السعادة لأهل مصر ، ما لم يعهدوه من قبل ، ولا أحسب أنهم عرفوه من بعد .

وكان أول المتكلمين سيفي الأول (سبق أن جاء في دوره ، وحُكِم له بأخذ مجلسه مع الخالدين) فقال :

- ولكنك بدأت حياتك باغتصاب حق أخيك ولـ العهد الشرعي .

فقال رمسيس الثاني :

- لا أحترم قانوناً يورث عرشاً لعجز لا يستحقه.

فَسْأَلَهُ تَحْتَمِسُ الْثَالِثُ :

- كيف يرضي قائد مظفر بأن يعقد معاهدة سلام مع عدوه ، ثم يتزوج من ابنته ؟ .

- هو الذى طلبها .. وو جدتها مفيدة للطرفين .

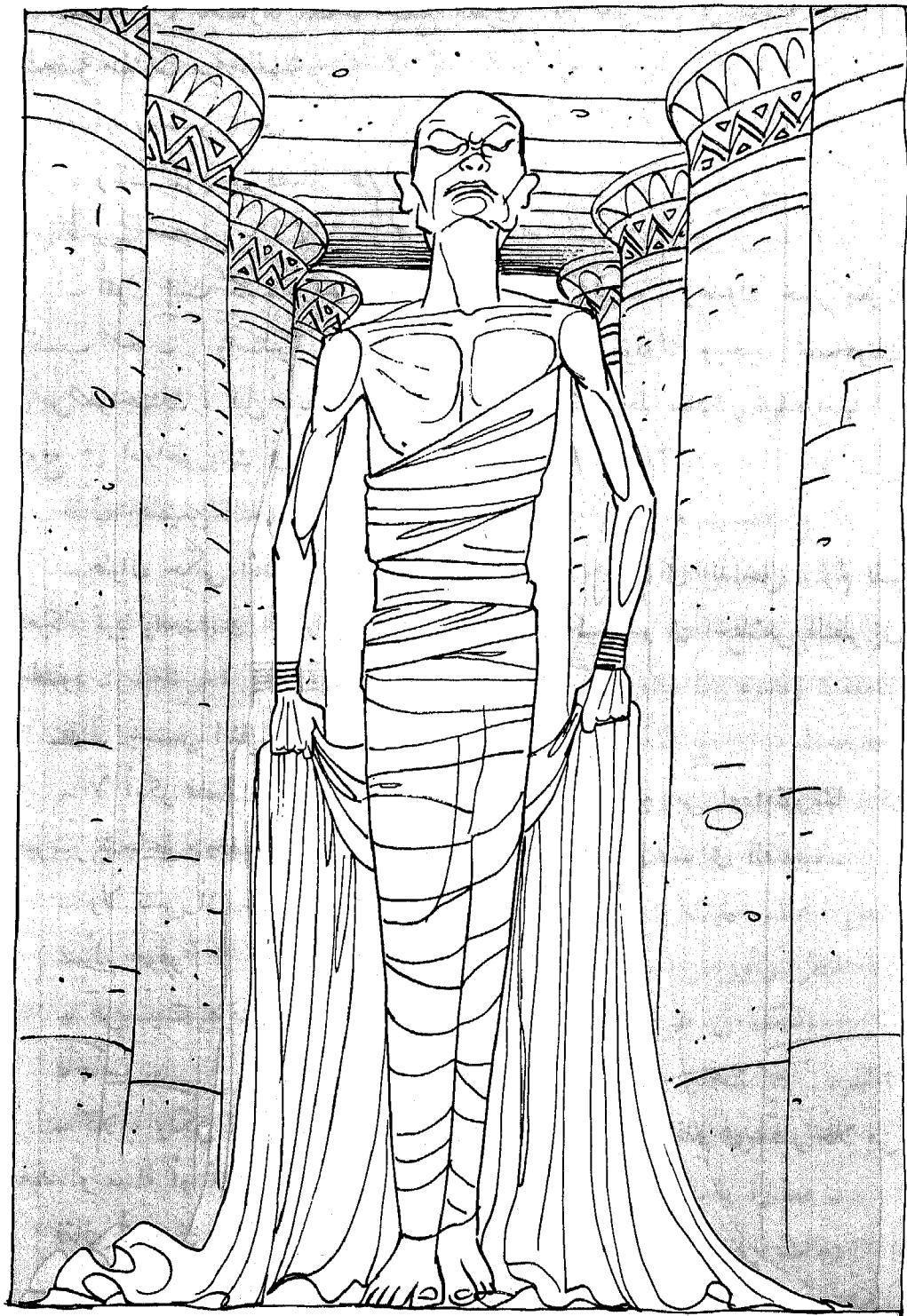
- كيف وقعت في الحصار أية الملك ؟

- وقع في يدنا جاسوسان للعدو ، اعترفا كذبا بأن العدو مرابط شمال قادش . فأسرعت بالفرقة الأولى لاحتل جنوب قادش ، ولكن العدو كان كامنا في الشرق ، فاخترق مؤخرة الجيش ، وضرب حصاره

- لقد تسرعت ، وكان يجب انتظار جيشك القادم من الجنوب . أنت شجاع ما في ذلك شك ، ولكنك قائد غير محنك .

- لقد حطمت الحصار ، ثم كررت على العدو بقية جيشى ، فوقع فى المصيدة التي نصبها لي ، ففرقه شر مرق ، وأحرزت نصرا حاسما .

فالتحتمس الثالث مواصلاً مناقشته:



- لم يكن هدفك كسب معركة . ولكن واضح أنك أردت الاستيلاء على قادش
كما فعلت أنا ، باعتبارها مفتاحاً لجميع الطرق . فلا حق لك في ادعاء النصر إلا
بتتحقق المدف من الحملة .

فأجلب رمسيس الثاني :

- وماذا تقول في قضائي على جيش العدو ؟
فأجاب تحتمس الثالث :

- أقول إنك كسبت معركة ولكنك خسرت الحرب . وعدوكم خسر معركة
وكتب الحرب . واستدرجك إلى السلام ، لينظم صفوفه ، ورحب بمصادرتك
ليأمن مواجهتك ، قبل أن يعرض خسائره . وقمع بالاحتفاظ بقادش ليهدد منها أي
موقع في إمبراطوريتك في المستقبل .

فقال رمسيس الثاني :

- طوال حكمي الطويل ، لم يختل الأمن ساعة واحدة في الداخل ، ولم تقم
معركة تمرد واحدة في الإمبراطورية المتراوحة ، أو يفكر عدو في اختلاس النظر إلى
الحدود .

فقال تحتمس الثالث :

- لا أنكر فضلك . لقد أعددت إلى مصر الجزء الأكبر من إمبراطوريتها . كما
تميزت بشجاعة شخصية فائقة ، كانت قديرة على إلقاع الرعب في القلوب .

- ولا تنس أن عصرى كان عصر التعمير الأعظم .

فأجلب خوفو :

- هل بنيت هرما ؟

فأجاب :

- كلام ، ولكن ليس بالهرم وحده يعمر الإنسان . وما من إقليم في مصر خلا من
معبد أو مسلة أو تمثال لي .

فقال أخناتون :

- استوليت على أعمدة معبدى المهدم ، وشيدت بها معبدك الجنائزي . وتكرر
سطوك على آثار السابقين . كما حفرت اسمك على آثار غيرك بغير حق . وقللت من

شأن كل عظيم سبقك ، كان الآلهة لم تخلق سواك .

فقال رمسيس الثاني :

ـ في هذه القاعة المقدسة ، لا أنكر خطأ ولا أدفع عن نزوة . ولكن دع غيرك يوجه إلى الاتهام ، ويكون مبرءا من الكفر .

فقال أوزوريس :

ـ لا تننس أيها الملك أنك تخاطب رجلا ثمن محكمته ، واستحق الخلود .
اعذر .

فتمتنع رمسيس الثاني بهدوء :

ـ معذرة .

وعند ذلك ، سأله الملكة حتشبسوت :

ـ وما قصتك مع النساء ؟ وهل وجدت وقتا ملاطفة أبنائك الثلاثة ؟

فقال رمسيس الثاني :

ـ لم يتمتع أحد بالسعادة كما تمتعت . وهبتي الآلهة عمرا مديدا ، وصححة كاملة ، وقدرة بلا حدود على الحب . ولم تضعف قوتي حتى آخر العمر ، رغم ما خصصت به زوجتي الملكة نفرتاري من احترام ومودة . أما أبني فأنا عرفت إلا أقلهم !

فقال ابنوم :

ـ حياتك أيها الملك جامدة بين الجدية بكل معاناتها ، وبين العبث بكل نزواته .

ـ فلعل الحكم عليك يجمع بين الانصاف والردع !

فنظر أوزوريس نحو ابنوم وقال :

ـ المحكمة في غنى عن إرشادك . وأراك تحن إلى إشعال ثورة جديدة في عالم الخلود . فلا تتجاوز حدودك واعتذر .

فقال ابنوم :

ـ معذرة ياسيدى العظيم .

وقالت إيزيس قاصدة رمسيس الثاني :

ـ أعاد هذا الابن مصر إلى سابق مجدها . وعم الرخاء في عهده الجميع :
القصور والبيوت والأكواخ . وإذا قسنا هفواته بطول عمره ، ظهرت تافهة .

وقال أوزوريس :

- اذهب إلى كرسيك بين الحالدين .

١٢

ونادى حورس :

- الملك امنمس والملك سبتاح والملك سيتي .

فدخل الثلاثة . وتقديموا في أكفانهم حتى مثلوا أمام العرش .

وقرأ تحوت كاتب الآلهة :

- شغلوا بمنازعاتهم على العرش . فساد الفساد والانتهازية .

وتمزقت وحدة البلاد . وانتشر القتل والسلب والنهب .

ودعاهم أوزوريس إلى الكلام فقال أمنمس :

- كنت الأحق بالعرش . ولكنه أغتصب مني . وشُغلت عن واجبات الحكم

بطاردة الدسائس ، حتى اضطررت للتخلي عن العرش .

وقال سيتي :

- كنت أملك من القوة ما أستطيع به أن أحكم حكماً طيباً . ولكن الفساد كان

قد استشرى فاجتاحتنا الأخلاقيات .

قال الحكم أمحتب وزير الملك زoser :

- ما أسرع أن يحل الفساد محل المجد ، وأن ينعكس ضعف حاكم واحد على
حضارة متکاملة .

قال تحتمس الثالث :

- لعل المشكلة تتلخص في كيف تعثر على الرجل القوي المناسب في الوقت

المناسب .

قال حور محب :

- لم يكن في الأسرة المالكة رجل قوى كفاء ، ولكن هل خلت البلاد من ذلك

الرجل ؟

فقالت إيزيس :

ـ قضى القانون ، بأن يرشح الموجود . والبحث عن المطلوب يتطلب قدرة وعاء . ولم يكن في وسع هؤلاء أن يفعلوا خيراً مما فعلوا .

فقال أوزوريس :

ـ اذهبوا إلى مقام التافهين .

١٣

ونادي حورس :

ـ الملك رمسيس الثالث .

فدخل رجل طويل القامة يبدو عملاقاً . ومضى في كفنه حتى مثل أمام العرش .

وقرأ تحوت كاتب الآلهة :

ـ انتصر على الأعداء في آسيا والغرب والوافدين من البحر ، ونشر الأمان والأمان في البلاد .

ودعاه أوزوريس للكلام ، فقال :

ـ نتيجة للمعاناة في الداخل ، تمرد الأمراء في آسيا ، وطمع الليبيون في الغزو ، ثم دهمنا من سحر الشمال أقوام بسائهم وأطفالهم يريدون الاستيطان . وفي الحال نهضت للقتال دون هوادة . فطردت الليبيين ، وقضيت على الشماليين وأسرت نساءهم وأطفالهم . ثم قدت حملة إلى آسيا ، ففتحت بالعصابة دون رحمة . وحظيت البلاد في عهدي بالأمان والاستقرار . فشيدت العديد من القصور والمعابد . ومن سوء الحظ ، أني تعرضت في شيخوختي إلى مؤامرة في الحرث لاغتصاب العرش . ونجوت من الموت بأعجوبة . ثم شكلت محكمة عليا لمحاكمة المذنبين . وأمرت بالعدل ، بحيث لا ينجو مجرم ، ولا يؤخذ بريء . ومن المؤسف أن قاضيin سقطا ، باغراء بعض نساء الحرث ، ولما انكشف أمرهما انتحرا .

فقال تختمس الثالث :

ـ مواقعك تشهد لك بأنك من القواد الأفذاذ ..

فقال رمسيس الثالث :

- لقد ترست خطاك في غزوتي الآسية .

فقال أختاتون :

- إن معاملتك للمتآمرين عليك ، وتقديهم للمحكمة بدلا من أن تبطش بهم ،
وطلبك من المحكمة تحري العدل وحده .. كل ذلك يقطع بتقديسك للقانون ،
وشغفك بمكارم الأخلاق ، كأنما كنت من عباد الإله الواحد .

فقال رمسيس الثالث :

- كنت من عباد مكارم الأخلاق .

فقال بناح حتب :

- إنه كيد النساء ، كاد يفتلك بملك عظيم ، وأهلك قاضيين ..

فقالت الملكة نفرتيتي :

- لقد خلق الإله الواحد النساء ، ليكشفن معادن الرجال .. الباقي منها
والخسيس !

فقالت إيزيس :

- تحية لهذا الابن الجامع بين العظمة والنبل .

فقال أوزوريس :

- إذهب إلى مجلسك بين الخالدين .

١٤

ونادي حورس :

- الملك أمازيس .

فدخل رجل طويل نحيل ، مضى في طريقه حتى مثل أمام العرش .
وقرأ تحوت كاتب الآلة .

- وطّد النظام في الداخل ، وغالى في اعتقاده على اليونانيين ، وشغف بالولائم
والعربدة . وفي عهده ظهرت دولة الفرس ، فسعى إلى إقامة حلف من مصر

وبابل^(١) واليونان لصدتها ، ولكنها اجتاحت بابل .

ودعاه أوزوريس للكلام ، فقال :

ـ اعتبرت الملك إبريس^(٢) مسؤولاً عن هزيمته أمام بابل ، وقدرت أنه أضعف من أن يواجه الموقف المعقد ، فخرجت عن طاعته ، واستوليت على العرش . وقد أقت حلفاً لصد الفرس ، ولكن الفرس اجتاحت أقوى جناح فيه ، فتفرغت للإصلاح في الداخل .

فسألته الملكة حتشبسوت :

ـ ماذا فعلت للداخل ؟

فأجاب أمازيس :

ـ عم البلاد رخاء ملحوظ . وأصلاحت القانون المدني . وحسبي أن أذكر المادة التي ألمت كل غنى أن يبيّن لرئيس مدنته مصادر ثروته .

فسأله تحتمس الثالث :

ـ ماذا فعلت لآعداد قومك لمواجهة الطامعين الجدد ؟

ـ لم يعد قومي يبالون إلا بالفالحة وحياتهم الخاصة .

قال له رمسيس الثاني :

ـ وكنت قدوتهم في ذلك ، بشغفك بالولائم والعربدة . ولست ضد الولائم والعربدة إذا كانت في إطار العزمة !

فقالت إيزيس :

ـ إصلاحاته لا يستهان بها . وكانت له خطة حكيمة لولا الفشل .

وتفكر أوزوريس قليلاً ، ثم قال :

ـ تمكث في مقام التافهين ألف سنة ، ثم تنتقل إلى الجنة في درجة متواضعة تناسبك .

(١) مدينة ذات حصار قديمة تقع على هر الفرات بالعراق .

(٢) الملك أبريس سبق الملك أمازيس في المحاكمة . فحكم عليه بالمقام بين التافهين

ونادى حورس :

— بسماتيك الثالث .

فدخل رجل متوسط القامة ، قوى البنية — سار في كفنه حتى مثل أمام العرش .

وقرأ تحوت كاتب الآلهة :

— حكم ثلاثة أشهر ، ثم تصدى بجيشه للدفاع عن مصر أمام جيش قبيز ملك الفرس ، وانهزم جيشه ، ووقع في الأسر ، وقتله قبيز ، واستولى على مصر .

ودعاه أوزوريس للكلام ، فقال :

— توليت العرش ، والجيوش الفارسية توغل في آسيا ، وتتجه نحو مصر.

فاستعددت بقواتي اليونانية ، وجندت ، على عجل ، جيشاً صغيراً من المصريين .
ولاقيت العدو في معركة حامية .

فدارت الدائرة علينا ، ووُقعت في الأسر . وقد أراد قبيز أن أتولى العرش بوصني تابعاً له . ولكنني رفضت ، وعملت في الخفاء على مقاومة الغزاة . فانكشف أمري ، ودفعت حياتي ثمناً لذلك .

وتكلم تحتمس الثالث ، فقال :

— حدثني عن مقاومة كل من اليونانيين والمصريين في المعركة .

قال بسماتيك الثالث :

— لاشك ، كانت مقاومة المصريين أشد بدرجة لا تقاد .

قال تحتمس الثالث :

— توقعت أن أسمع ذلك . وربما لو كان جيشك كله مصرياً ، لتغيير مصير المعركة — ولكنكم أهملتم شعوبكم ، واعتمدتم كل الاعتماد على الأجانب ، بعد أن بدأ أسلافك في الاستعانة بالجنود المرتزقة من الأجانب . وبذلك انتهى تاريخ مصر المستقلة على يدكم .

قال سيكتنزع (وكان قد جاء في دوره من قبل ، وحكم له بالجلوس مع الحالدين) :

- لا يجوز أن ننسى أنه رفض العرش في ظل الحكم الأجنبي . وضحى بنفسه في سبيل ذلك - وشاركت نفس المصير .

فقالت إيزيس :

- أمامكم ابن سيئ الحظ ، حارب بشجاعة ؛ ولو كان هدفه أن يحكم بأى ثمن ، لظل في الحكم ، ولكنه قتل عزيزاً شريفاً .

وقال أوزوريس :

- خذ مجلسك بين الخالدين .

١٦

وقال أوزوريس :

- أيها السادة ..

لقد انتهت مصر الفرعونية .. فانتهى اختصاص هذه المحكمة المقدسة .

فليس من اختصاصها محاكمة الحكام الأجانب ، الذين حكموا مصر بعد ذلك . وهي تعتبرهم جميعاً ملعونين ، وإن اختلفت درجة اللعنة بين حاكم مصلح وحاكم مفسد .

ولكمها ستواصل محااسبة المصريين ، الذين كان لهم دور في تاريخ مصر بعد ذلك . ونقصد بالمصريين ، من كانت مصر يرثهم بالوراثة ، ومن اكتسبوها بالإقامة والقلب والروح .

ولأن المصريين دخلوا في دين جديد ، فاعتبروا المسيحية ثم الإسلام .. فسيكون حكينا - بالنسبة لمن نخاسفهم - حكماً غير نهائى . بل سيكون نوعاً من التقدير التاريخي ، نرجو أن يوضع في الاعتبار عند حسابهم في الآخرة حسب دينهم .
والآن أترك الكلمة لتحولت كاتب الآلة .

فقرأ تحوت كاتب الآلة :

* انتهت مصر الآلة ، والأهرامات ، والمعابد ، والضيائرة .

* وأصبح الفرس ملوكاً على العرش الذهبي . ولكنهم عبدوا آهتنا ، وتمسحوا

بتقاليدنا ، ورغم ذلك فإن المصريين مقتولهم مقتاً ، ثاروا وتحرروا ، وهُزموا واستُعبدوا .

* وجاءنا الاسكندر الأكبر غازياً ومحرراً من استعباد الفرس .

* ثم ورث مصر أحد قواده ، بطليموس . فأنشأ لأسرته البطالمة دولة وحضارة . واستأثر الأجانب بالنشاط الجوهري . بينما عاش المصريون في الظل ، يفلحون الأرض ، ويقنعون بالدرجة الدنيا ، باستثناء الكهنة ، الذين بقيت لهم الشؤون الدينية .

وقد انفجرت حركات مقاومة في صورة هجرات جماعية أو إضرابات . وكانت تقابل بالعنف والشدة .

فقامت ثورات ، ولكنها أخمدت بقسوة ، وأريقت دماء غزيرة .

* وانتهى حكم أسرة البطالمة في عهد الملكة كليوباترة التي ولدت في الاسكندرية ونشأت بها .

* ودخلت مصر تحت حكم أجنبي جديد ، هو الحكم الروماني . فاعتبرت «مزرعة» لامداد روما بالغلال .

وازداد وضع المصريين سوءاً . وكلما ثاروا ، أخمدت ثورتهم . وسفكت دمائهم .

* وفي عهد الحاكم الروماني نيرون ، تسرّبت المسيحية إلى مصر . فأقبل فريق من المصريين يغيرون دينهم إليها - وغلب الزهد على معتقد الدين الجديد . فاعتصم كثيرون منهم بكهوف الصحراء فراراً من ظلم الحكام وفساد الدنيا . وقد قاومت الحكومة الرومانية الدين الجديد ، وانهالت بحراها على معتقديه ، حتى عرف عصر الامبراطور دقلديانوس بعصر الشهداء .

وفي عصر تيودوسيوس ، حتم الامبراطور اعتناق المسيحية على رعاياه . فكان للديانة المصرية القديمة شهادتها كذلك . ولكن أغلبية المصريين اعتقدت المسيحية . إلا أنهم استقلوا فيها بمذهب خاص بهم .

وامتزجت الروح الدينية بالروح الوطنية ، وعملاً معًا على الثورة على حكم الرومان ، والاستقلال عنهم . فتعرضوا لمذابح وعذابات لا حصر لها . واتخذ الصراع

صورة معركة دينية بين الكنيسة المصرية وكنيسة الدولة الرومانية . واستمر التزاع مصحوّياً بأشد أنواع الاضطهاد من الرومان للمصريين !

* * *

صاحب كلام تحوت ، صمت ثقيل .. وظل بعده لفترة .. إلى أن أشار أوزوريس إلى حرس ، فصاح حرس :
- المقوس حاكم مصر .

فدخل رجل بدین ، مائل إلى القصر ، ومضى متلفعاً في كفنه حتى وقف أمام العرش .

وقرأ تحوت كاتب الآلة :

- حاكم مصر باسم الإمبراطور الروماني . اعتبره الأقباط مصرياً . وفي عهده فتح العرب مصر . وقد اتفق مع العرب ليتخلص من الرومان . وبذلك دخلت مصر في عهد جديد تحت حكم العرب .

فدعاه أوزوريس للكلام ، فقال :

- ولأنني الإمبراطور الروماني حكم مصر . ورغم أصل اليوناني ، فقد اعتنقت الذهب اليعقوبي المصري . فرضي عن الأقباط ، واعتبروني واحداً منهم . وقد رأيت الاتفاق مع العرب ، تخلصاً من الرومان . وحصلت بذلك على شروط حسنة .
فسألته أبنوم :

- كيف أتيت للاتفاق مع الغزاة ؟

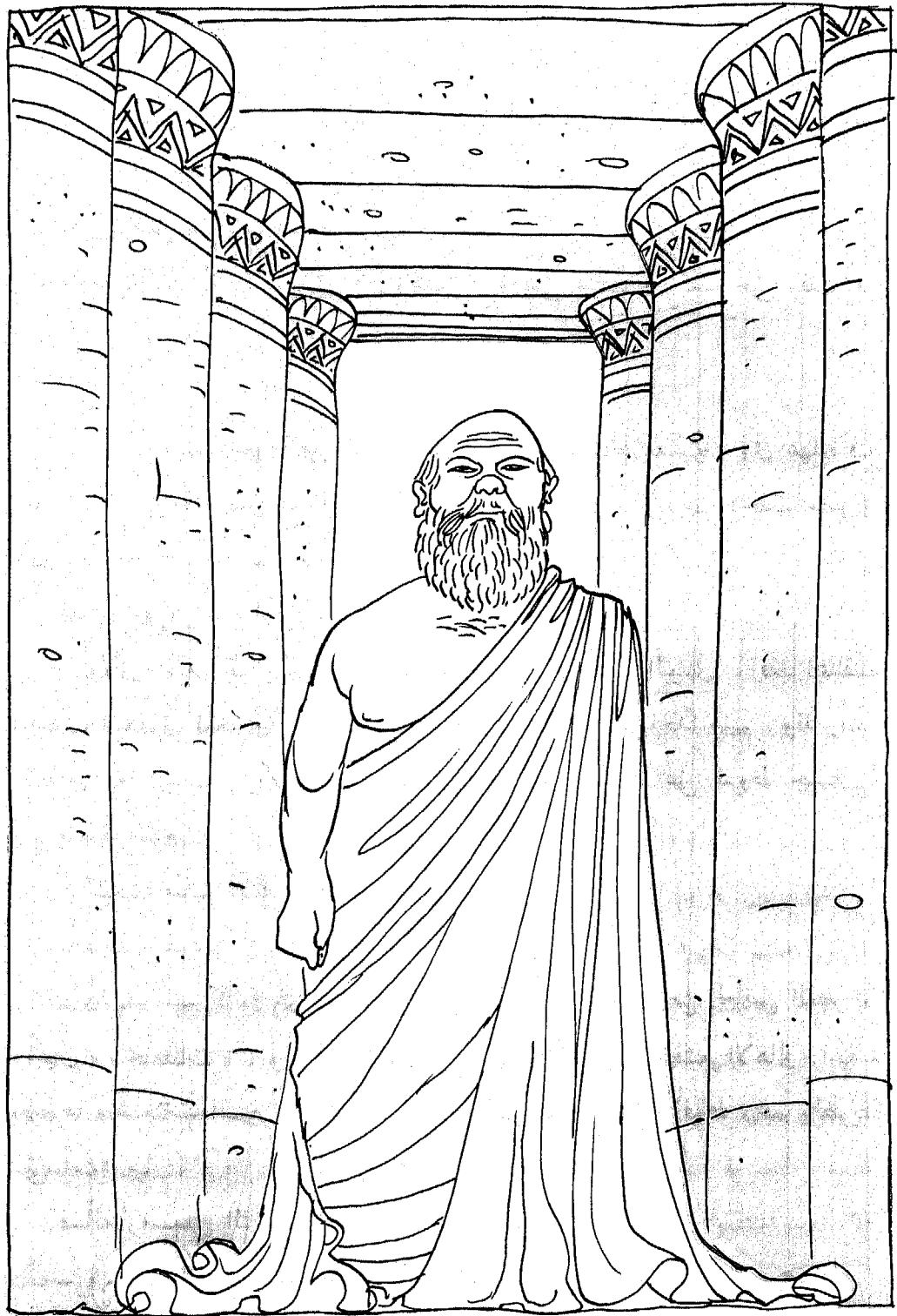
فأجاب المقوس :

- أشهد أنهم كانوا غزاة شرفاء . وقد قسم قائدتهم عمرو بن العاص القطر إلى «أعمال» «محافظات» ، وضع على رأس كل منها حاكماً قبطياً . فشعر الأهالى براحة لم يعرفوها منذ مئات السنين . وحرر العبادة من كل قيد ، فبعد الأقباط ربهم بالطريقة التي آمنوا بها ..

فسألته رمسيس الثاني :

- ولم جشّموا أنفسهم مشقة الغزو إذن ؟

فقال المقوس :



- كان هدفهم الأساسي ، فيما بدا لنا ، الدعوة إلى دين جديد بشرّوا به ،
يدعى الإسلام .

قال أبنوم :

- واستقبلت مصر عهد شهداء من جديد ؟

قال المقوقس :

- أبداً .. لقد كانوا يدعون إلى دينهم بغير إكراه .. ومن يشاً الثبات على دينه ،
يدفع الجزية .

فأسأله خوفو :

- وما وجه الخلاف بين هذا الدين ، وديتنا القديم ؟

- كانوا يُؤكدون على وحدانية الإله .

فصاح اخناتون :

- هذا ديني وهذا إلهي .. طالما آمنت بأنني سأنتصر في النهاية .

قال أبنوم :

- حدثني عما أفاده الفلاحون الكادحون ؟

- لقد ألغى عمرو بن العاص كثيراً من الضرائب التعسفية . فتحسنت أحوال
القراء .

قال إيزيس :

- عادت سياسة هذا الرجل على أبنائي بخير غير منكور .

قال أوزوريس :

- يمنع شهادة تزكية ، لعلها تنفعه في حسابه في الآخرة .

١٧

ونادي حورس :

- البطريرك بنيامين .

- ودخل رجل نحيل متوسط القامة . وتقدم حتى مثل أمام العرش .

وقرأ نحوت كاتب الآلة :

- بطريرك الأقباط . حمله الاضطهاد الروماني على الانزال في الصحراء . أفرج عنه عمرو بن العاص ، بعد أن طرد الرومان من مصر ، وأعلن حرية العبادة فيها .

ودعاه أوزوريس للكلام ، فقال :

- العقيدة هي شرف الإنسان ، وهي كرامته وعزته ، وهي طريقه إلى الله . وقد تحملت ما تحملت من اضطهاد الرومان ، فلم أترزع عن عقيدتي . ثم آويت إلى الدير ، محتاجاً على السقوط البشري في هاوية الظلم والفساد . وقضى الله أن تقع مصر في أيدي بني إسماعيل ، العرب المسلمين . فهياوا للناس حرية العبادة . فرجعت مطمئناً إلى كرسي البابوية بالإسكندرية ، ومارست الزعامة الروحية للأقباط .

فقال تختمس الثالث :

- أصبح غاية ما يرجيه المصري ، أن يفوز بغاز أجنبي عادل .

فقال البطريرك بنيامين :

- لقد مضى على شعبنا زهاء ألف عام ، وهو قابع في قرابة ، وخاضع لأسرات أجنبية تحكمه بقوة السلاح ، فسأله أبنوم :

- ألم تستغل سلطتك الروحية لايقاظ الشعب؟

فقال البطريرك :

- لماذا؟ وقد أتاح لنا هذا الحكم الجديد حرية العقيدة ، وخفف الأعباء عن الفقراء ، ولم يحاول إكراها على اعتناق دينه؟

فقالت إيزيس :

- لا لوم على الرجل

فقال أوزوريس :

- ليس لدى محكمتنا ما تؤاخذك عليه .

ونادى حورس :

ـ الحاج أحمد المنياوي .

فدخل رجل طويل القامة ، قوى البنيان . وتقدم حتى مثل أمام العرش .

ودعاه أوزوريis للكلام ، فقال :

ـ في الأصل من أسرة ميخائيل المنياوي . هداني الله إلى الإسلام ، فسلمت .

وتعلمت اللغة العربية . وحفظت القرآن الكريم . واشتغلت بالتدريس . ثم مكتنـي الله

من أداء فريضة الحج .

وفي أيامى ، تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز ، وكان من الخلفاء الراشدين ،

حيث كان مثل خلفاء المسلمين الأوائل ، شـكـا إـلـيـهـ الأـقـبـاطـ أـسـامـةـ بـنـ يـزـيدـ ، فـأـمـرـ

بعزلـهـ ، ثـمـ قـبـضـ عـلـيـهـ ، وـسـيـقـ إـلـىـ الـخـلـيـفـةـ «ـمـكـبـلاـ» .. فـاتـ فـيـ الطـرـيقـ . وـتـوـلـيـ

مـكـانـهـ أـيـوبـ بـنـ شـرـحـيـلـ ، وـكـانـ وـرـعـاـ ، فـعـوـضـ الـأـقـبـاطـ عـاـ وـقـعـ بـهـمـ مـنـ ظـلـمـ .

وـسـأـلـهـ أـخـنـاتـونـ .

ـ لـمـ اـعـتـنـقـ إـلـاسـلـامـ ؟

ـ الإـيـانـ يـنـفـجـرـ فـيـ الـقـلـبـ دـوـنـ مـقـدـمـاتـ .

فـقـالـ أـخـنـاتـونـ :

ـ صـدـقـتـ ، وـلـنـ يـصـدـقـكـ مـثـلـ خـبـيرـ . وـلـكـ أـلـمـ تـكـنـ لـأـنـاشـيـدـيـ دـخـلـ فـ

ذـلـكـ ؟

فـقـالـ أـوزـوريـis :

ـ إـسـمـكـ لـمـ يـعـرـفـ إـلـاـ بـعـدـ أـيـامـهـ بـأـلـفـ عـامـ .

فـقـالـ الـمـلـكـ خـوـفـوـ مـخـاطـبـاـ أـحـمـدـ :

ـ لـعـلـكـ أـسـلـمـتـ لـتـخـلـصـ مـنـ دـفـعـ الـجـزـيـةـ .

فـقـالـ أـحـمـدـ :

ـ أـبـدـاـ .. بـلـ هـوـ الـدـيـنـ الـجـدـيدـ آـمـنـاـ بـهـ دـوـنـ إـكـرـاهـ .. وـالـجـزـيـةـ لـمـ تـكـنـ هـىـ السـبـبـ . وـقـدـ كـانـتـ خـفـيـةـ بـلـ حـدـثـ أـنـ قـائـدـ الـجـيـشـ حـيـانـ بـنـ شـرـيـعـ ظـلـ يـطـلـبـ

الجزية من الذين دخلوا في الإسلام . ولما بلغ الخليفة ذلك ، أمره برفعها ، كما أمر بضربه عشرين سوطاً ، وقال له : إن الله بعث محمداً هادياً ، ولم يبعثه جائياً [أى جامعاً لجزية] .

فقال أوزوريس :

- ليصحبك التوفيق أمام حكمتك الإسلامية .

١٩

ونادي حوس :

- موسى كاتب سر أحمد بن طولون .

فدخل رجل مديد القامة ، مضى حتى مثل أمام العرش .

ودعاه أوزوريس للكلام ، فقال :

- قبطي مسيحي . وهبني الرب علمًا ودرایة . فاختارني الوالي أحمد بن طولون كاتباً لسرّه . ولم يكن عربياً . وقد آتت إليه الأمور في مصر في عهد الخليفة المعتمد بن المتوكل . فعمل على تثبيت ولايته . وكان مصر قد عاد إليها استقلالها . بل إنه ضم لحكمه سوريا وأجزاء من آسيا الصغرى . وعكف على الإصلاح والبناء والبر وإقامة العدل وانتشرت مظاهره فوق المسلمين والمسيحيين واليهود على السواء . فلهجت الألسنة بالثناء عليه . وكان يجلس يومين ، من كل أسبوع ، يستمع للمظالم من عامة الناس ، كما كان يفعل الخلفاء الراشدون - لذلك عندما اشتد عليه المرض ، خرج الجميع يدعون له فوق جبل المقطم ، المسلمين بقرائهم ، والمسيحيون بمجيلهم ، واليهود بتروراتهم .

فسأله الحكيم تباح حتب :

- هل انتفع الأقباط المسيحيون بمنزلتك عند الوالي ؟

فأجاب موسى :

- لقد كان اختياره لي دليلاً على إيمانه بالمساواة بين الطوائف . وأمنت مثله بالمساواة . وحتى عندما رشحت له المهندسين المسيحيين لبناء الخصون والمساجد ،

كنت أُخْرِي الدقة بلا تحيّز . والحاكم العادل ، يستخرج من معاونيه خير ما عندهم ، فـ كـلـ مـاـ هـوـ قـدـوةـ لـهـمـ فـيـهـ .

وسأله الحكيم أختب وزير زوسـرـ :

ـ وكيف كانت العلاقات بين الطوائف ؟

ـ على خير ما يكون . وكما لا بد لها أن تكون في ظل حاكم عادل . في عهده أصبحت مصر شعباً واحداً ذا أديان ثلاثة . وكان الإسلام قد أخذ ينتشر ، ويكثر عدد معتنقيه .

واستاذن تحوت كاتب الآلة في توجيه سؤال ، وقال :

ـ لماذا سـجـنـ الـبـطـرـيرـكـ مـيـخـائـيلـ ،ـ بـطـرـيرـكـ كـنـيـسـةـ الـاسـكـنـدـرـيـةـ ؟ـ

فأجاب موسى :

ـ لم يكن الذنب ذنبه ، ولكنها كانت دسيسة من أسقف حقدود يدعى سكا ، زعم ابن طولون أن البطريرك يدخل ثروة طائلة ، ليس بحاجة إليها ، فطالبه ابن طولون بالtribut بشيء من ثروته للمساهمة في تجهيز جيش مصر ، للتصدى لجيوش أجنبية كانت تتربص بمصر على الحدود . وكان ابن طولون يتحفظ لدفعها . فاعتذر البطريرك بعدم استطاعته . فسجنه ابن طولون بتهمة الخيانة ، ولما تولى ابنه خمارويه ، بعد وفاته ، أطلق سراح البطريرك ، وأرجعه مكرّماً ، بعد أن تبيّن له وجه الحقيقة .

فقال أوزوريس :

ـ عرضت صفحة مشرقة ، فلتصحّبك السلامـةـ .ـ

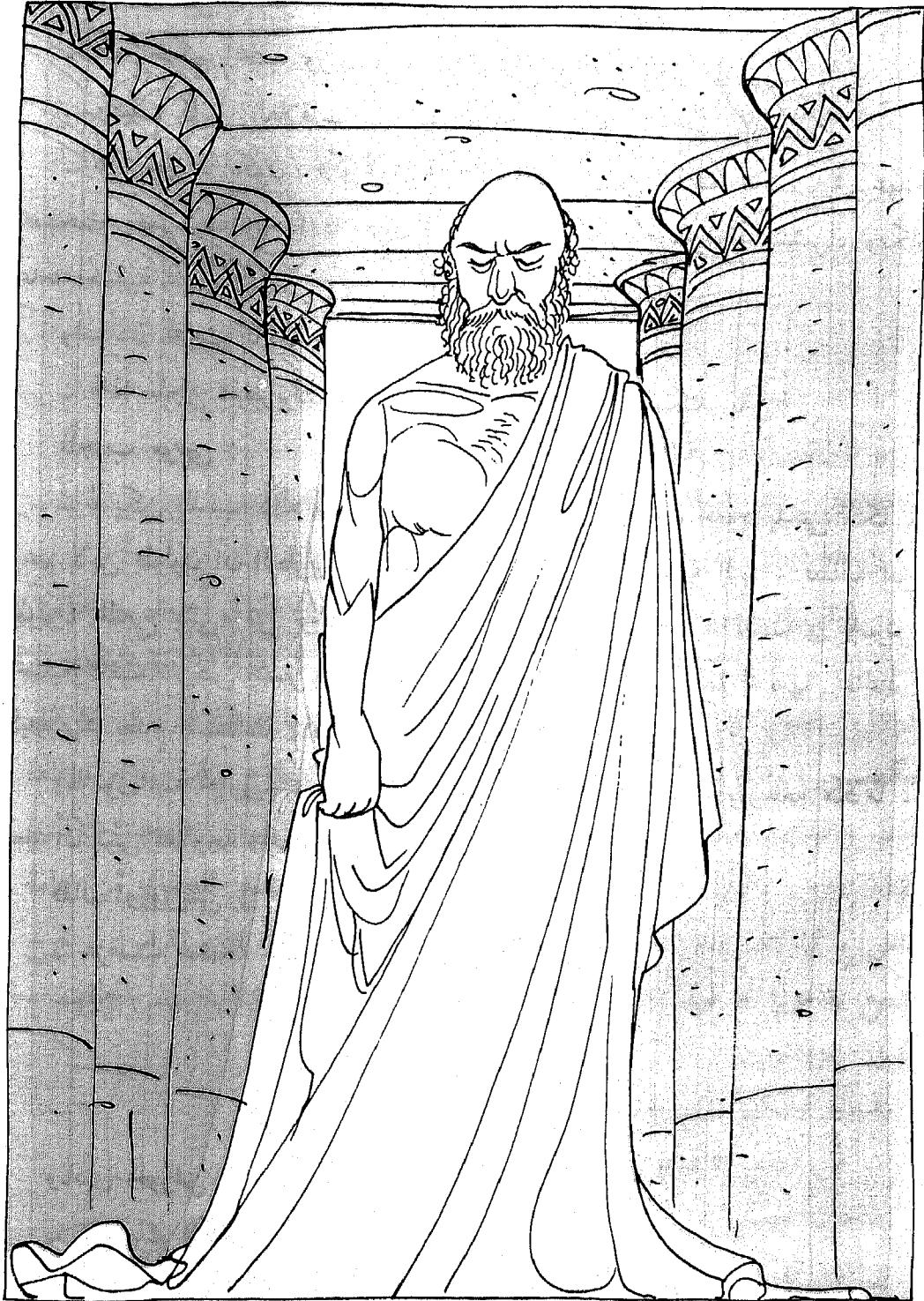
٢٠

ونادي حورس :

ـ على بك الكبير

فدخل رجل ذو طول وقوـةـ .ـ ومضـىـ فـ كـفـنـهـ حـتـىـ مـثـلـ أـمـامـ العـرـشـ .ـ

وقال أوزوريس :



- إنك أول حاكم أجنبي ، نستدعيه إلى محكمنا . فقد كانت سياستك ذات مصرية خالصة ، لم تظهر من قبل . وها أنا أدعوك إلى الكلام .
فقال على بك الكبير :

- كنت في الأصل من مماليك إبراهيم كخيا . فيزني لشجاعتي . فصرت أحد وات المعدودين . ثم رقيت شيخاً للبلد (ما يعادل رئيس الوزراء الآن) . وعند ، فكرت بالاستقلال بمصر عن الدولة العثمانية التي كانت مصر تابعة لها . وتم لى ردت . وسرعان ما خفت الضرائب ، وأقت العدل ، ونفذت حكم الإسلام نة ، فينعم بالسلام والأمان أهل مصر ، مسلمين ومسيحيين ويهوداً . ومددت لاني حتى العربية والشام والنوبة .

ولولا خيانة أبي الذهب - أحد مماليكي المقربين - لكان لمصر مصير غير المصير .
ومت كريماً ، كما عشت كريماً .

وتكلم أختناتون ، فسألته :

- ألا يعتبر استقلالك بمصر ، تمزيقاً لوحدة الإسلام دين الإله الواحد ؟

فقال على بك الكبير :

- كان العثمانيون يمارسون الظلم والفساد ، تحت شعار إسلام زائف . وهالني ما ، أهل مصر من عذاب . فوجدت أن السبيل الأوحد لاسعادهم في ظل إسلام سيق ، هو التحرر من العثمانيين .

فقال تختمس الثالث :

- وبدأت مشكوراً في استرداد بعض امبراطوريتي .

وقال امنمحعت الأول (وكان من جاءوا في دورهم من قبل ، وحكم له
جلوس بين الحالدين) :

- لم تنتفع بوصيتي التي دونتها عقب مؤامرة دبرت في قصري ، بيد أقرب نمربين لي ، وكدت أهلك صحة ها !

فقال على بك الكبير :

- الحق أنى لم أسمع عنها . وقد كان لي في كتاب الله وسنة رسوله ما يكفينى .
كعن «الخذر لا ينجى من القدر» .

فقال أوزوريس :

- إنك تستحق عندنا كرسي الخلود . وسنسجل ذلك في ترثيتنا لك .

٢١

ونادى حورس :

- السيد عمر مكرم .

فدخل رجل أقل من الطويل وفوق المتوسط ، بنيانه مستقيم ، ومضى في كفنه حتى مثل أمام العرش .

ودعاه أوزوريس للكلام ، فقال :

- ولدت في أسيوط ، وتلقيت العلم والأخلاق والدين على يد الصفوية . ثم تبأّلت نقابة الأشراف . ودأبت على الدفاع عن الشعب المذنب . ولما جاء الفرنسيون لغزو مصر ، دعوت الشعب للقتال ، وسرت في طليعته . ولكن جيوشنا انهزمت ، واحتل الفرنسيون القاهرة . وقد اختارنى الفرنسيون لعضوية «الديوان^(١)» ببحث عن المقابل له الآن رفضتها باباء . وهاجرت إلى سوريا تاركاً أموالى وأملاكى عرضة للنهب . ولما غزوا الفرنسيون سوريا ، أعادنى نابليون إلى مصر مكرّماً . ولكننى اعتزلت في بيتي ولما ثارت القاهرة كنت على رأس ثورتها . فلما أُخمدت بقسوة هاجرت من مصر ثانية . ولم أعد إلا بعد جلاء الفرنسيين . وترعمت الثورة على المالك ، وعلى الوالي التركى - ثم بايعت حاكماً جديداً (محمد على باشا) لما لمست فيه من ميل إلى المصريين ، وجنوح إلى العدل والاستقامة . وحتى ذلك الحاكم قاومته ، لما تناهى تعهده لنا ، فنفاني ، وانتهت حياتي في المنفى ..

وتكلم أبنوم ، فقال :

- إنك فرد من الشعب ، كرس حياته للدفاع عن الشعب - دعاه للقتال لأول مرة منذ ثورتى المباركة . وثار على الحاكم الأجنبي ، وولى بقوة الشعب حاكماً

(١) ما يشبه مجلس الشورى حالياً

جديداً . خبرني ، أكان الحاكم الجديد من أبناء الشعب أيضاً ؟
فأجاب السيد عمر مكرم :

ـ كلا ، ولكنه كان مسلماً وظهر له عدلاً .

ـ يا للخسارة ، ولماذا لم تستول على الحكم ؟

ـ ما كانت الدولة العثمانية توافق على ذلك .

ـ أقول مرة أخرى ، يا للخسارة ..

فقال أختاً :

ـ لعلك آثرت وحدة الإسلام .. دين الإله الواحد ؟

ـ أجل ، ذلك ما آثرته كمؤمن بالله ورسوله .

قالت إيزيس :

ـ على أي حال .. فإني سعيدة بهذا ابن .

وقال أوزوريس :

ـ إنك تستحق مكانك بين الخالدين : وسنسجل ذلك في ترزيتنا لك .

٤٤

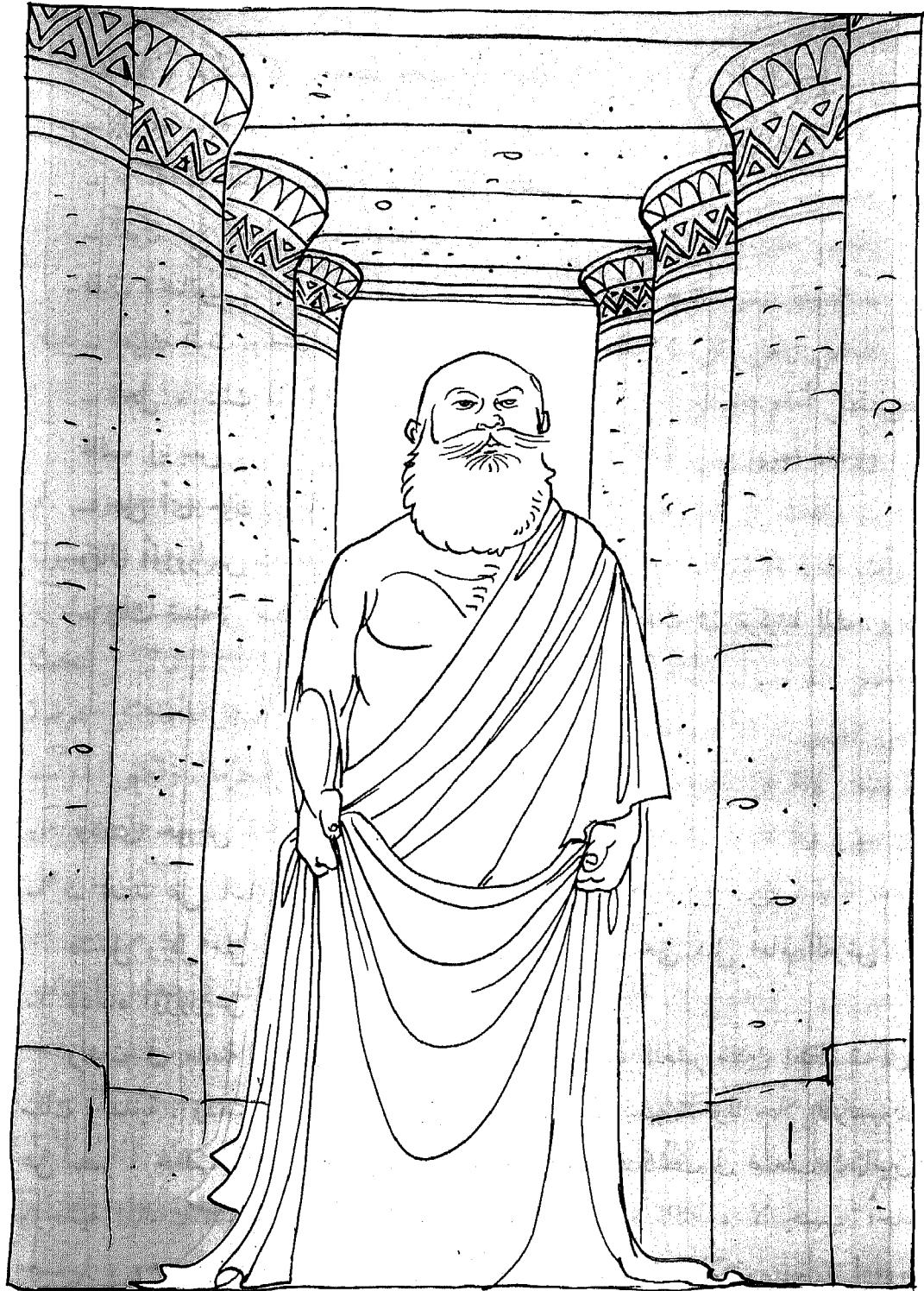
ونادي حورس :

ـ محمد علي باشا .

فدخل رجل مليء ، قوى البنيان مستقيم . وتقى حتى مثل أمام العرش .

ودعاه أوزوريس للكلام ، فقال :

ولدت في مدينة قوله - نشأت يتيماً - ولا جاوزت العشر سنين انتظمت في سلك الجندي . وذهبت إلى مصر ضمن حملة لقتال الفرنسيين . وما جلا الفرنسيون عن مصر ، جعلت أدرس الأحوال وأفكر في المستقبل . فتكشفت لي صعف العثمانيين ووحشية المماليك الذين يحكمون باسمهم . وانتبهت إلى قوة ثلاثة ، لا يحسب أحد حسابها ، وهي قوة أهالي البلاد وزعمائهم . فقررت أن أوثق علاقتي بهم ، لعلهم يصلحون أساساً ، أقيم عليه دولة جديدة ، تستعيد من الماضي أمجاده الغابرة .



ونجحت في ذلك أيا نجاح - حتى خلع الأهالي الوالي التركي ، وبايونى محله - واعترف الباب العالى^(١) بالأمر الواقع ، فاستتب لـ الأمر. وشرعت في العمل . ولم أكُن عنه حتى نهاية عمري .

تخلصت من المالك وهم الشر المقيم . وتلقيت من الباب العالى أمرًا بمحاربة الوهابيين في الجزيرة العربية ، فانتصرت عليهم . وكانت جيشه من المصريين ، وفتحت السودان .

وأنشأت للجيش مدارس ومصانع . كما أنشأت أسطولاً مستعيناً في ذلك كله بالخبراء الفرنسيين .

ولم أغفل الإصلاح . فنظمت الإدارة والأمن ، وأدخلت زراعات جديدة كالقطن والنيلية والأفيون ، وغرست الأشجار والحدائق . ومن آثارى الكبرى القناطر الخيرية .

كما أنشأت مدارس للطب ، وبنيت المستشفيات - وأرسلت البعثات من أبناء البلاد لفرنسا ، بلد الحضارة الحديثة . كما أنشأت أول مطبعة في الشرق وهي مطبعة بولاق .

وطلب مني الباب العالى أن أحارب عنه التمردين في المورة والشام . فتحققت انتصارات عظيمة ، حتى حلّ الرعب في قلب الباب العالى نفسه . فأراد أن يوقفنى منذ حدى - ولكنني حاربته ، وغزوت بلاده ، وكدت أستولى على عاصمته لولا تدخل الدول الأجنبية الكبرى ، التي خافت أن تتجدد دولة الإسلام على يدي - وتجمعت على هذه الدول ، واضطربتني للخضوع للباب العالى ، نظير أن يجعل حكم مصر وراثيًّا في بيتي .

واضطربت لتصفية الجيش ، وكثير من المدارس والمصانع ، وساعت حال البلاد . ولم أحتمل النهاية فقدت عقلي .. ثم حياني .

قال خوفو :

- كأنها أسرة فرعونية جديدة ، رغم أصلها الأجنبي - وقال تحتمس الثالث :

(١) مقر حكم الحلة العثانية بتركيا

- لقد أعدت امبراطوريتي ، وأنى أشهد لقائك بالبراعة . ولكنك فقدتها فى
أثناء حياتك . فهى أقصر الامبراطوريات عمرًا فى التاريخ .

وقال تحتمس الثالث :

- إنى أشهد لك بالعظمة . وعلى ضوء ذلك أفهم غرورك . وكان بودى أن
أتسامح معك ، لولا النهاية السريعة الأسيفة لامبراطوريتك وهى تعنى أن
إدراكك - رغم ذكائك - كان ناقصاً . لم تدرك أبعاد الموقف الدولى جيداً ،
فتخدعوه ، وأنت لا تدرى ، وعرضت نفسك لقوة لا تقدر عليها .

- اعتقادت أن فرنسا ستقف إلى جانبي حتى النهاية .

فقال له الحكم بتاح حتب :

- هذا أيضاً لا يدفع عنك تهمة قصر النظر .

فقال محمد على :

- كانت هناك فرصة مواتية لتجديد دولة الإسلام انطلاقاً من مصر الفتية .

فقال أخناتون :

- إنى أدرك ذلك تماماً . وأحيي طموحك لاحياء دولة الواحد الأحد .

فقال الملك خوفو :

- ليتك وضعت عقريتك وأحلامك في تقوية مصر ، وقنعت بذلك .

وقال أبنوم :

- استخدمت الفلاح فى سبيل الأرض والدولة . ومهما يكن من أمر ، فلن أنسى
لك فعلك الفلاحين إلى مسرح الإدارة والسياسة والعسكرية والعلم .

وهنا قالت إيزيس :

- من أجل ذلك أعتبر هذا الحاكم الأجنبي من أبنائى .

وقال أوزوريس :

- لو كانت هذه الحكمة هي صاحبة الفضل في تقرير مصيرك ، لوجهت إليك
نقداً قاسياً ، ثم حفظت لك حقك في مقعدك بين الخالدين .
وسنرفع بشأنك تقريراً إلى محكمة الإسلام ، ينوه بأعمالك الجليلة ، وسيعتبر
في حملته تزكية لشخصك من مصر وآهتها .

ونادى حورس :
- أحمد عرابي .

فدخل رجل مائل للطول ، ممتليء الجسم بعض الشيء ، ذو رزانة ووقار .
فتقىم حتى مثل أمام العرش .
ودعاه أوزوريس للكلام ، فقال :

- حفظت القرآن صغيراً بقريني بالشرقية ، وانتظمت في سلك الجنديية في الرابعة عشرة . وصلت إلى رتبة قائم مقام (عقيد) فكنت أول مصرى يصل إلى هذه الرتبة . وكانت الرتب الكبيرة وقفا على الشراكسة . وكان المصرى مختلفاً في وطنه . فأقنعت بعض الزملاء بالطلبة بعزل وزير الخربة الشركسي المتحيز ، فقبض علينا . فثار الجنديون حتى أفرج عنا . ولم يست ما يعاينه الشعب من ظلم ، فتحركت بالجيش إلى قصر عابدين ، وطالبت الخديو باستقالة الوزارة وتشكيل مجلس نواب . فقال لي «أنا ورثت ملك هذه البلاد ، وما أنت إلا عبيد إحساناً» . قلت «لقد خلقنا الله أحرازاً ، ولم يخلقنا تراثاً وعقاراً ، فوالله الذي لا إله إلا هو إننا سوف لا نورث ، ولا نستعبد بعد اليوم» .

وقد انتصروا على أعداء الشعب ، وتكون مجلس نواب ووزارة وطنية . ثم تدخلت الدول الأجنبية لمنع المصريين من تولي شئونهم خوفاً على مصالحها . وخان الخديو الوطن ومعه بعض الانتهازيين . واتفقوا مع أعدائنا الإنجليز . ودافعوا عن وطننا بكل ما نملك ، ولكننا انهزمنا . وحوكمنا ، وحكم علينا بالنفي المؤبد ومصادرة أملاكاً .

وتكلم الملك خوفو فقال :
- ولكنك تحديت الجالس على العرش ، ومخاطبه بما لا يُخاطب به الملوك .
فقال أوزوريس :
- تغير الزمان أيها الملك . فلم يعد الملوك يحكمون نيابة عن الآلهة . صاروا يحكمون بالمشاركة مع الشعوب .

فقال خوفو :

- مشاركة الفلاحين في الحكم ، تعنى الفوضى .

فقال أبنوم :

- بل هي وثبة كبرى في طريق الخير والتقدم .

وقال أحمد عرابي :

- كان الخليوي ورجاله من عنصر أجنبي .

فقال الملك مينا :

- لقد قامت وحدة مصر على عناصر بشرية متنوعة الأصل ، اندمجت جميعها في الوطن ، وأخلصت للعرش .

فقال أحمد عرابي :

- لم يك足ح إلا العناصر التي رفضت الاندماج . والدليل على ذلك أن حزبي كان فيه وطنيون من أصل شركسي .

وتكلم تحتمس الثالث ، فقال :

- كان الموقف يتطلب قيادة عسكرية خارقة في عبقريتها . وللأسف لم يتهيأ لك ذلك .

فقال أحمد عرابي :

- بذلك أقصى ما لدى .

وقال رمسيس الثاني :

- كان يجب أن تقاتل حتى الموت بين جنده .

وقال أبنوم :

- وكان يجب أن تقضى على جميع أعدائك ، لتقضى على الخيانة في مهدها .

فقال اختاتون :

- أنت رجل طيب القلب . فحدثت لك النهاية التي تحدث للقلوب الطيبة .

وقال الحكيم بتاح حتب :

- هكذا .. ثرت من أجل حرية الشعب ، فجررت عليه احتلالاً أجنبياً .

وهنا قالت إيزيس :

- هذا ابن امتلاً قلبه بالنوايا الطيبة . ووهد شعبه ما يملك من حب غير محدود ، وقدرات محدودة . وقد تآمر الأعداء على تصفيته ثورته . ولكنهم لم يستطعوا استئصال البذرة التي غرسها في الأرض الطيبة .

وقال أوزوريس :

- إني أعتبرك نوراً تألق في الظلامات التي أطبقت على وطنك - وقد عوقبت في حياتك بما يكفر عن أخطائك . فعسى أن تحظى بالبركات في ساحة محكمتك . وستنوه بفضلك .. بما تستحقه .

٢٤

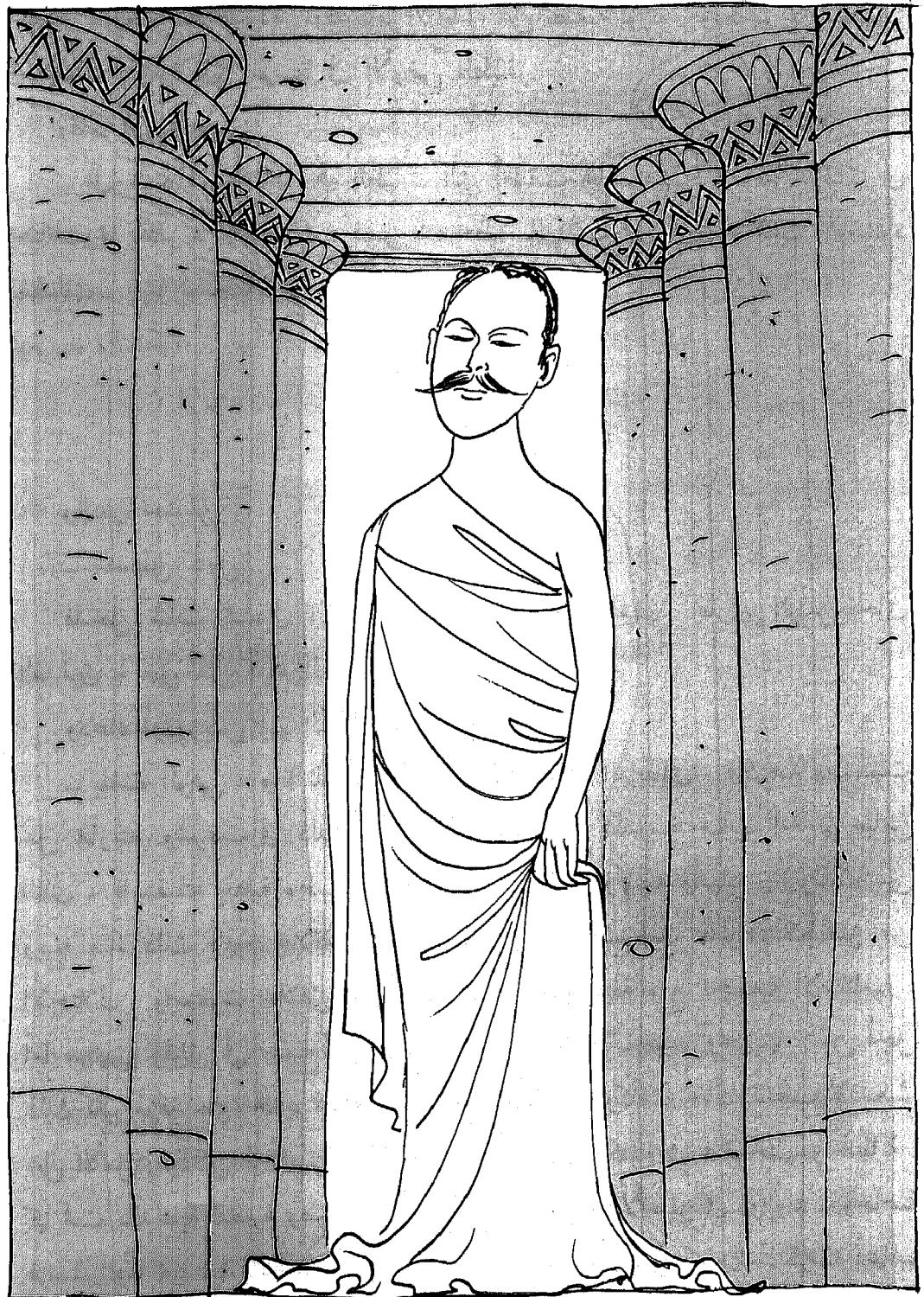
ونادى حورس :

- مصطفى كامل .

فدخل شاب مشوق القامة ، عذب الملامح . ومضى عاري الرأس حاف القدمين ، حتى مثل أمام العرش .

ودعاه أوزوريس إلى الكلام ، فقال :

- بلغتوعي ، وأنا تلميذ ، في عصر الاحتلال البريطاني . فكرهته وصممت على محاربته . وشرعت في ذلك وأنا تلميذ . وزارنا في المدرسة جناب الخديو عباس الثاني ، فاستقبلته بخطبة وطنية حماسية ، استجابت لها وطنيه وشبابه . وتوثقت بيني وبينه منذ ذلك اليوم علاقة وثيقة . فضى يمدني بالتشجيع والمال للتخلص من الاحتلال . واستقرت علاقتي على نفس النهج مع الخليفة ومع الجمعية الإسلامية . أما وجهي وقلبي في جميع الأحوال ، فكانت استقلال مصر وحريتها . من أجل ذلك تغير موقعي من الخديو عندما اتفق مع الاحتلال . وكانت حال الشعب لا تبعث على الأمل . ولكني لم أقصر في إيقاظ وعيه الوطني بالكلمة في الصحف والخطابة . كما قلت بالدعائية لقضية وطنى في الخارج ، حتى عرفها الأحرار في أوروبا ، وخاصة فرنسا . ولما ارتكب الإنجليز جريمتهم الكبرى في قرية دنشواى ، استنكرت أعمالهم الوحشية ، ونددت بالأحكام التي أصدرتها المحكمة الزائفة على أهل القرية الأبرياء .



فرزعت عرش طاغية الإنجليز في مصر حتى اضطرت بلاده إلى استدعائه. ثم أُسست الحزب الوطني. وهو أول حزب سياسي منظم أُنشئ في مصر، تضمن برامجه الجلاء والدستور في ظل الدولة العثمانية. وواظبت على الجهاد في الداخل والخارج حتى أسلمت الروح في عز الشباب.

وتكلم بساماتيك الثالث (سبق أن جاء في دوره ، وحكم له بالجلوس بين
الخالدين) وقال :

- لقد عاصرت الاحتلال الفارسي مثلما عاصرت أنت الاحتلال الإنجليزي .
وحاولت مثلك إيقاظ الوعي الوطني . فلما علم قبيز (ملك الفرس) بأمرى قتلني دون
تردد . فكيف تركك الإنجليز دون عقاب ؟

- كان الاحتلال قد تمكّن من تثبيت سيطرته الكاملة على البلاد . فلم ير بأساً من منح معارضيه شيئاً من الحرية ، استهانة بهم في الواقع ، وتظاهرها أمام العالم بأنه بعطننا الحرية .

- زمانك وفر لك من الأمان ما لم يوفر لي بعضه . والحق أني لم أعرف بمحاهدا سعيد الحظ مثلك . حظيت بتأييد الخديو والخليفة والجمعية الإسلامية . وهاجمت عدوك في الداخل والخارج دون عقاب . واكتسبت مجدًا وشهرة دون أن تدفع شيئاً . لم تقتل كما قتلت أنا . ولم تُئْنَ كما نُئْنَى .

قال مصطفى كامل :

- أحمد عرابي جرّ على بلاده الاحتلال.

فقال له أبنوم :

- كيف يتم الرجل ، وهو ما ثار ونفي إلا دفاعا عن شعبك ؟

فقال مصطفى كامل باصرار :

- إنني أعتبره المسئول الأول عن الاحتلال.

فقايل ابنوم :

- إنك شاب وطني متّحمس صادق النية سعيد الحظ . عشت حياتك في جو معطر بأبهة العرش والخلافة والحضارة الفرنسية . لم تشم رائحة العرق ، ولم تكابد آلام

الجهاد الحقيقة ، ولم تتوّر عن ظلم الثائر الحقيق .

وهنا قالت إيزيس :

- إنه الابن الذي أبقطت حماسه الوجдан الوطني بعد أن كاد الاحتلال يخمد أنفاسه .

وقال أوزوريس :

- لم يكن بوسعك أن تفعل خيراً مما فعلت . ولن ينسى لك فضل كلماتك .
فأذهب إلى محكتك مصحوباً بدعواتنا القلبية .

٢٥

ونادي حورس :

- محمد فريد .

فدخل رجل متوسط القامة ، ممتليئ الوجه . وتقديم عاري الرأس ، حاف القدمين ، حتى وقف أمام العرش .

ودعاه أوزوريس للكلام ، فقال :

- انحدرت من أسرة عريقة في الارستقراطية . وشاركت مصطفى كامل في موقفه الوطني منذ بدايته . وبسبب ذلك ، استقلت من الحكومة ، وتفرغت للقضية الوطنية قبل كل شيء . وتوثقت العلاقة بيني وبين مصطفى . فرشحني لخلافته في رئاسة الحزب . وقد سرت على نهجه في الوطنية والخطابة والكتابة ، حتى قبض على " وزوجي في السجن . وفي السجن ساوموني كى أخفف من عنيف موقفى لقاء العفو ، فرفضت أى مساومة . ولما خرجت من السجن ، كنت أصلب عوداً ، وأشد مراساً . وقت برحالت في البلاد أدعو فيها للوطنية . فدبرت مؤامرات لادخالي السجن مع قادة الحزب الكبار . فقررت قرارنا على الهجرة ومواصلة الجهاد في الخارج . وأنجحنا التدبير للهرب في الوقت المناسب . ونجحنا في ذلك . وبقدر ما أنجزنا من كسب قضية مصر في الخارج . بقدر ما تعرض الحزب في الداخل للضعف والتفكك . وكابدنا المرّ من الخنين إلى مصر والأهل ، ومن تخلى الكثرين عنا . وقامت في مصر

ثورة ١٩١٩ ، ثورة غير متوقعة . قامت وأنا منسى في المنفى ، وآخرون يتربعون على كراسي الزعامة . وقد أظهرنا رضانا على رجالها ، مع اعتقادنا بعدم إخلاص أكثرهم . وهنأنا الأمة على ثورتها . وحيينا ذكرى شهدائها . ودعوناها إلى الصمود حتى النهاية . وانتهت حياتنا في المنفى .

وتكلم بساماتيك الثالث ، فقال :

- زعامة غطى عليها ما تعرضت له من اضطهاد .

وقال الحكيم بتاح حتب :

- كان بوسنك أن تنعم بحياة متفرقة وجاه كبير ، كسائر رجال طبقتك الثرية . ولكنك رميتك ذلك كله ، واحتارت النضال والمعذاب في سبيل مصر . إنك رجل عظيم .

أما أبنوم ، فقال :

- خبرني ، كيف يترك زعيماً ، أمته في محبة ، ليجاهد في الخارج ؟

فقال محمد فريد :

- كان الجهاد في الخارج ضمن خطتنا الوطنية ، منذ أيام مصطفى كامل ..

فقال أبنوم :

- قد يُقبل كعمل إضافي ، يستكمل به العمل الأصلي في الداخل . أما أن تهاجر أنت والقادة تاركين حزبكم بلا قيادة حقيقة ، فهو تصرف بعيد عن الحكمة . لا أنكر وطنيتك ، ولكن ..

فقالت إيزيس :

- أما أنا فأعتبره من خير أبنائي خلقاً وإخلاصاً ووطنية .

ولم يكن في وسعه أن يفعل خيراً مما فعل ، مع مراعاة ظروف مولده ونشأته .

وقال أوزوريس :

- لك منا تركية يسندها الحب والاحترام . فأذهب سلام إلى محكتك مع أصدق تمنيات التوفيق .

ونادى حورس :

- سعد زغلول .

فدخل رجل طويل القامة ، مهيب الطلة ، قوى القسمات ، جذاب الملامح .
وتقديم في سيره حتى مثل أمام العرش .
ودعاه أوزوريس للكلام ، فقال :

- ولدت في إبيانة . درست في الأزهر . تلمنت على جمال الدين الأفغاني .
عملت محرا بالواقع المصرية تحت رئاسة وأستاذية محمد عبده . انضممت إلى
العرابين في ثورتهم . وفي أول عهد الاحتلال البريطاني اعتقلت كعضو في جمعية
الانتقام ، وفصلت من وظيفتي . فعملت في المحاماة ، فالقضاء . اخترت وزيرا
لل المعارف ثم وزيرا للعدل . وعقب انتهاء الحرب العالمية الأولى وإعلان الهدنة ،
توليت زعامة الحركة الوطنية . وأقفتها على أساس متين من الوحدة الوطنية بين المسلمين
والسيحيين . وناديت بحق مصر في الحرية والاستقلال . فقبضت على السلطات
البريطانية ، ونفتني إلى جزيرة مالطة . وما أن ذاع الخبر ، حتى قامت الثورة الشعبية
على نفيي ، وطالبت بالاستقلال ، مما اضطر الجلطة إلى الإفراج عنـي . وسافرت مع
أعضاء الوفد المصري إلى باريس ، لعرض قضيتنا على مؤتمر الصلح هناك . فأغلاقـت
أبوابهـ في وجوهـنا . ودخلـنا في مفاوضـات معـ الإنجـليـز دونـ نـتيـجةـ . وـحدـثـ انـقسامـ فيـ
الـوفـدـ . وـرـجـعـتـ إـلـىـ مـصـرـ . ثـمـ نـفـيـتـ مـرـةـ أـخـرىـ إـلـىـ جـزـرـ سـيـشـيلـ فـيـ المـحـيطـ الـهـنـدـيـ .
وـلـمـ يـفـرـجـ عـنـيـ إـلـاـ سـنـةـ ١٩٢٣ـ . وـتـولـيـتـ الـوزـارـةـ سـنـةـ ١٩٢٤ـ بـعـدـ اـنـتـخـابـاتـ شـعـبـيـةـ .
وـدـخـلـتـ فـيـ مـفـاـوضـاتـ الـتـيـ سـرـعـانـ مـاـ فـشـلـتـ . وـاضـطـرـتـ إـلـىـ الـاسـتـقـالـةـ عـقـبـ
اغـتـيـالـ أـحـدـ كـبـارـ الإـنـجـليـزـ . ثـمـ اـتـلـفـتـ الـأـحـزـابـ أـمـامـ دـيـكـاتـورـيـةـ الـمـلـكـ قـوـادـ . وـتـولـيـتـ
رـيـاسـةـ مـجـلسـ النـوـابـ ، تـارـكاـ رـيـاسـةـ الـوزـارـةـ لـلـدـسـتـورـيـنـ . وـدارـتـ مـفـاـوضـاتـ مـنـ
جـدـيدـ . وـلـكـنـيـ غـادـرـتـ الدـنـيـاـ ، قـبـلـ أـنـ أـعـرـفـ نـتـائـجـهـاـ .

وـنـكـلـمـ أـبـنـومـ ، فـقـالـ :

- قـمـتـ أـنـاـ بـأـوـلـ ثـورـةـ شـعـبـيـةـ فـيـ نـهـاـيـةـ الـدـوـلـةـ الـقـدـيـمةـ ، وـقـتـ أـنـتـ بـالـثـورـةـ شـعـبـيـةـ

الثانية بعد آلاف السنين . فأنت أخي وخليفتي وحبيبي .

فقال الملك خوفو :

- هناك فرق بين الثورتين يجب أن يذكر . ثورة أبنوم كانت ثورة العامة على الصفة ، أما ثورة سعد زغلول فكانت ثورة شعب مصر كله ، فقراء وأغنياء ، على الاحتلال الأجنبي .

وقال الملك مينا :

- لقد وحدت المصريين ، كما وحدت أنا مملكتهم . فأنت في ذلك صديقي وخليفتي .

وسأله أختب وزير الملك زوسر :

- رغم ما تحقق لك من زعامة بعد الثورة ، فقد قبلت العمل في ظل الاحتلال قبل الثورة ، ولم تنضم للحزب الوطني . ما تفسير ذلك ؟
فقال سعد زغلول :

- كان الحزب الوطني يدعو إلى مبادئ خيالية . منها : لا مفاوضة إلا بعد الجلاء . ومنها مقاطعة الوظائف العامة هيمنة الإنجليز عليها . كيف ترك الوظائف العامة للأجانب ؟ لقد قبلت الحياة الرسمية لأمارس من خلالها ، ما استطعته من مقاومة ، ومن أداء خدمات لوطنى كان في أشد الحاجة إليها : وقد اعترف بذلك خصوصى قبل أصدقائى .

فقال أوزورييس مخاطبا الجميع :

- نحن في هذه المحكمة لا نناقش إلا الأعمال الفاسدة .

ثم خاطب سعدا قائلا :

- قال خصومك إن الثورة قامت وأنت في المنفى . وأنك لم تفعل شيئا لأشعاها .
بل إنك دهشت لقيامها ، وكانت حدثا غير متوقع . فما قولك في ذلك ؟

فقال سعد زغلول :

- كانت حال البلاد تدعوا لليلأس . وأعترف بأنني دهشت لقيام الثورة ، كما دهش الزعيم السابق محمد فريد .
ولكنى لم أقصر في تهيئة الجو لها بالخطابة في كل مناسبة ، والاجتماع بالناس في

بيتى ، وف دعوتهם فى الريف والمدن مما عبأ الشعور القومى . والثورة قامت احتجاجا على نفي . فكان شخصى فى الواقع هو مشعلها المباشر .

قال أوزوريس :

ـ وقيل أيضا ، إن تعصبك لزعامتك هو ما دفع العقلاء من زملائك للانشقاق عليك . فما قولك في ذلك ؟

قال سعد زغلول :

ـ المسألة أنى اندمجت فى الثورة وأمنت بها ، أما العقلاء فقد كرهوا الثورة وخافوها وقنعوا بالحلول الزائفة .

وقال بعض زملائك ، كان يجب أن تبقى على رأس الثورة ولا تقبل رئاسة الوزارة ؟

قال سعد زغلول :

ـ كانت وزارتي امتدادا للثورة على المستوى الرسمى .

قال أبنوم :

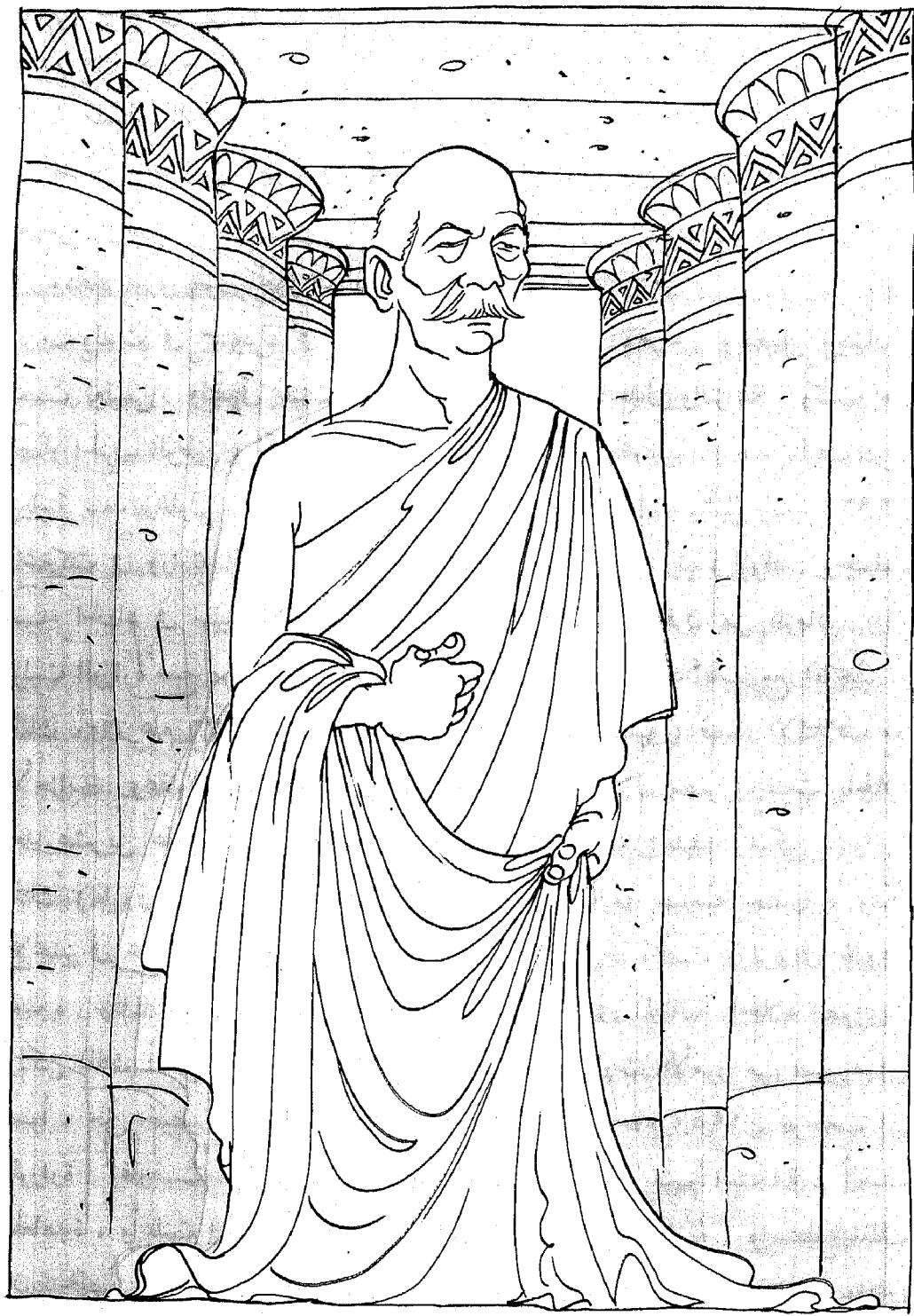
ـ كنت أفضل أن تأخذ برأي هؤلاء الزملاء .

وهنا قالت إيزيس :

ـ لتبарьك الآلهة هذا ابن العظيم البار . لقد برهن على أن شعب مصر قوة لا تفهرا ولا تموت .

قال أوزوريس :

ـ إنك أول مصرى يتولى الحكم منذ العهد الفرعونى . وتوليتة بإراده الشعب . من أجل ذلك أهبك حق الجلوس بين الخالدين من آجدادك . وسوف تمضي بعد ذلك إلى محكمتك في الآخرة ، مصحوبا بتزكيتنا وصادق أمانينا .



ونادى حورس :

ـ مصطفى النحاس .

فدخل رجل قوى الجسم والوجه ، مائل للطول . تقدم في سيره حتى مثل أمام العرش .

ودعاه أوزوريس للكلام ، فقال :

ـ ولدت في سمنود ، في أسرة من أبناء الشعب الفقراء . وبفضل اجتهادي أتمت تعليمي . ولتفوق عينت في القضاء ، فعرفت بالعدل والتراهنة . وكنت من أنصار الحزب الوطني ، فكنت زميلاً لرئيسه في المدرسة الخديوية . وعند تأليف الوفد برئاسة سعد زغلول ، اختارني عضواً فيه . ونفيت معه إلى سيشيل عام ١٩٢١ . واشتراك في وزارته الشعبية الثورية . وعقب وفاته انتخب رئيساً للوفد . وحملت عباءة الجهاد في سبيل الاستقلال والحياة الديمقراطية ربع قرن من الزمان . وقد توليت الوزارة سبع مرات . وجرت إقالتي منها ست مرات ، لخلافات مع الإنجليز أو الملك . وفي عام ١٩٣٦ ، وتحت ضغط التهديد بحرب عالمية ، قبلت الائتلاف مع الأحزاب . وعقدنا معاهدة مع الإنجليز ، اعترفت باستقلال مصر وووعدت بالجلاء بعد عشرين عاماً . وقامت الحرب العالمية في فترة حكم استبداد ملكي ، واتهم الملك (فاروق) بالاتصال بأعداء الإنجليز ، فنشبت أزمة سياسية خطيرة ، وفكّر الإنجليز في خلع الملك . وتقدّمت لإنقاذ البلاد والعرش ، وألّفت وزارة في ظروف عسيرة . ولما انتهت الحرب بانتصار الإنجليز ، شرعت في المطالبة بالجلاء الفوري . ولكن الملك أقالني ، ورجع الملك إلى استبداده . وسارت الأمور من سيء إلى أسوأ ، حتى اضطر الملك إلى الموافقة على استفتاء الشعب عام ١٩٥٠ ، فرجعت إلى الوزارة . وفاوضت الإنجليز من أجل الجلاء . ولما لم أجدهم استجابة ، ألغيت المعاهدة ، وأعلنت الجلاء . فتأمر على أعدائي في الداخل والخارج ، واستطاع الملك أن يتخلص مني . وقامت ثورة يوليو ، واضطربت إلى اعتزال السياسة حتى وافاني الأجل .

قال أوزوريس :

- يهم الحاضرين أن يعرفوا بعض الانجازات التي قدمتها في أثناء توليككم الوزارة .

قال مصطفى النحاس :

- بالرغم من أن الشعب لم يحكم إلا ثمانية أعوام ، نظير تسعه عشر عاما استبد فيها الملك وأحزاب الأقلية بالسلطة ، وبالرغم مما تعرضت له من اضطهاد وعسف ومحاولات متكررة لاغتيال حياني ، فقد وفقني الله إلى تحقيق خدمات غير قليلة . منها على سبيل المثال : إلغاء الامتيازات الأجنبية ، إلغاء صندوق الدين ، تأسيس جامعة الدول العربية ، استقلال القضاء ، استقلال الجامعة ، قانون التوظف ، منع الأجانب من تملك الأراضي الزراعية ، التعويض عن إصابات العمل والتأمين الاجباري ضدتها ، الاعتراف بنقابات العمال ، فرض استعمال اللغة العربية في الشركات الأجنبية ، الضمان الاجتماعي ، ديوان المحاسبة ، مجانية التعليم الابتدائي والثانوي المتوسط .

قال أبنوم :

- مرحبا بالثائر الشعبي الثالث في حياة شعبنا . وقد استمد قوته من إيمانه بشعبه وإلهه ، واتسمت حياته بالكافح الطويل والتراهنة ، وعاش فقيراً ومات فقيراً .

قال الملك أخناتون :

- تقبل حبي أيها الزعيم . أنك مثل تقانيت في الإيمان بالله الواحد ، والإخلاص للمبادئ الظاهرة . ومثل أيضا في حب البسطاء من الشعب والاختلاط بهم ، ومثل أخيرا فيما حظيت به من نشوة النصر ، وما ابتليت به من الجحود والهزيمة . ولكن أبشر ، فالنصر في النهاية لنا ..

وهنا قالت إيزيس :

- وهذا ابن أصيل من أبناء البرة .

قال أوزوريس :

- أهبك حق الجلوس مع الخالدين حتى نهاية المحاكمة ، ثم تمضى إلى محكتك مشفوعا بأكرم ترکية .

ونادى حورس :

- جمال عبد الناصر.

فدخل رجل طويل القامة ، واضح الملامح ، عظيم الشخصية ، ومضى في سيره حتى وقف أمام العرش .

ودعاه أوزورييس إلى الكلام ، فقال :

- أتمنى إلى قرية بني مر من أعمال أسيوط ، ونشأت في أسرة فقيرة من أبناء الشعب ، فكابدت مراة العيش وشدته . وتخرجت من الكلية الحربية عام ١٩٣٨ . واشتراك في حرب فلسطين . وحوصرت مع من حوصل في الفالوجا . وقد هالتني الهزيمة ، وهالتني أكثر جذورها المتبددة في أعماق الوطن . فخطر لي أن أنقل المعركة إلى الداخل ، حيث أعداء البلاد الحقيقيون . وأنشأت في سوريا وحضر ، تنظيم الضباط الأحرار . وتتابعت الأحداث ، انتظارا للحظة المناسبة ، للانقضاض على النظام القائم وقد حققت هدفي في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

ثم تتابعت إنجازات الثورة ، مثل إلغاء النظام الملكي ، واستكمال استقلال البلاد بالجلاء التام ، والقضاء على الأقطاع يا صدار قانون الإصلاح الزراعي ، وتمصير الاقتصاد ، والتخطيط لإصلاح شامل في الزراعة والصناعة ، يستهدف خير الشعب وتذويب الفوارق الطبقية ، وبنينا السد العالي ، وأنشأنا القطاع العام متوجهين نحو طريق الاشتراكية ، وكوننا جيشا حديثا قويا ، ونشرنا الدعوة للوحدة العربية ، وساندنا كل ثورة عربية أو إفريقية ، وأمننا قناة السويس ، فكنا منارة وقدوة للعالم الثالث كله في نضاله ضد الاستعمار الخارجي والاستغلال الداخلي ، وحظى الشعب الكادح في عهدي بعزة وقوة لم يعرفها من قبل ، ولأول مرة يشق طريقه إلى المجالس التشريعية والجامعات ويشعر بأن الأرض أرضه والوطن وطنه .

وقد تریصت بي قوى الاستعمار حتى أنزلت بي هزيمة منكرة في ٥ يونيو ١٩٦٧ ، فنزلت العمل العظيم من جذوره ، وقضت على " بما يشبه الموت قبل موافقتي لأجل بثلاثة أعوام .



وقد عشت مصر يا عربيا مخلصا ، ومت مصر يا عربيا شهيدا .

وتكلم الملك رمسيس الثاني ، فقال :

- دعنى أعرب لك عن عظيم حبي وإعجابي . وحبي لك هو امتداد لحبى لذاتي .
فما أكثر أوجه الشبه التي تجمع بيننا . كلامنا يشعّ عظمة تملاً الوطن وتجاوز حدوده ،
وكلامنا جعل من هزيمته نصراً فاق كل نصر . وكلامنا لم يقنع بأعماله المجيدة الخالدة ،
فأغار على أعمال الآخرين من سبقوه . وقد ساعدى الحظ بأن توليت عرش مصر
وهي سيدة الأمم ، أما أنت فحكمنتها وهي أمّة صغيرة وسط عالمٍ . وقد وهبتني الآلة
طولاً في العمر وقوّة في الروح والجسد ، وضيّت عليك إلا بالقليل ، فتعاجلتك الأجل
قبل الأوان .

وتكلم الملك مينا ، فقال :

- ولكن اهتماك بالوحدة العربية فاق اهتمامك بالوحدة المصرية ، فحتى اسم
مصر الخالد شطنته بحرة قلم . واضطررت العديد من أبناء مصر إلى الهجرة ، التي لم
يمارسوها إلا في فترات قهر عابرة .

فقال جمال عبد الناصر :

- ليس الذنب ذنبي ، إذا توهم بعض المصريين أن الوحدة العربية تعنى الضياع
لهم . وليس الذنب ذنبي ، إذا تحققت أعمال مجيدة على يدي ، بعد أن عجز
السابقون عن تحقيقها . فالحق أن تاريخ مصر الحقيق بدأ مع ٢٣ يوليه ١٩٥٢ .
وسرت همّة بين الجالسين ، وأخذت تشتد ، حتى هتف أوزوريس :

- النظام والهدوء إليها السادة . افسحوا صدوركم لأى قول يقال ..

فقال الملك تحتمس الثالث :

- على الرغم من نشأتك العسكرية ، فقد أثبتت قدرة فائقة في كثير من المجالات
إلا المجال العسكري . بل إنك لم تكن قائداً له شأن ، بأى حال من الأحوال .

فقال جمال عبد الناصر :

- تعذر على النصر على جيش متفوق في التسلیح وتوییده أقوى دولة على سطح
الأرض .

فقال أختب وزير الملك زوسر :

- كان واجبك أن تتجنب الحرب ، وأن تكتف عن استفزاز الدول الكبرى .

فقال جمال عبد الناصر :

- كان ذلك يتناقض مع أهداف . كما أني خدعت أكثر من مرة .

فقال الحكمي بتاح حتب :

- عذر أقبح من الذنب .

وقال سعد زغلول :

- لقد حاولت أن تمحوا اسمى من الوجود ، كما محوت اسم مصر . رغم ذلك ، لم أضمر لك الرفض . واعتبرت تجنيك على نزوة شباب ، يمكن التسامح معها نظير ما قدمت من خدمات جليلة . لقد قامت الثورة العرابية ، فناضلنا نضالاً كريماً ، وأحيطت إحباطاً أليماً . وقامت ثورة ١٩١٩ ، فتحققت من الانجازات الجيدة ما شهد به التاريخ . ولكن تكاثر أعداؤها حتى اجتاحتها حريق القاهرة . ثم جاءت ثورتك ، فتخلصت من الأعداء ، وأتممت رسالة الثورتين السابقتين . وبالرغم من أنها بدأت كانقلاب عسكري ، إلا أن الشعب باركها ومنحها تأييده . وكان بوسعك أن تجعل من الشعب قاعدتها ، وأن تقيم حكماً ديمقراطياً رشيداً . ولكن اندفاعك المصلل في الطريق الاستبدادي هو المسؤول عن جميع ما حل بحككم من نكبات ونتائج عكسية .

فقال جمال عبد الناصر :

- كان يلزمنا فترة انتقال لتحقيق الأسس الثورية ..

فقال مصطفى النحاس :

- حجة دكتاتورية واهية .. طالما سمعناها من أعداء الأمة . لقد انهلت بدببائك على القاعدة الوفدية الشعبية ، وعجزت عن إقامة بدائل عنها . فظللت البلاد تعاني الفراغ . ووقيت في تناقض مؤسف بين عمل إصلاحي يعتبر في روحه امتداداً لروح الوفد ، وبين أسلوب حكم يعتبر امتداداً لحكم الملك والأقليات ، حتى قضى أسلوبك في الحكم على جميع التوابيا الطيبة .

فقال جمال عبد الناصر :

- الديمocratie الحقيقية ، كانت تعنى عنى تحرير المصرى من الاستعمار والاستغلال والفقر .

فقال مصطفى النحاس :

- وأغفلت الحرية وحقوق الإنسان . ولا أنكر أنت كنت أماناً للفقراء . ولكنك كنت وبالاً على أهل الرأى والمثقفين ، وهم طليعة أبناء الأمة . انهلت عليهم اعتقالاً وسجناً وشنقاً وقتلاً ، حتى أذللت كرامتهم ، وأهانت إنسانيتهم ، ومحقت إيماناتهم ، وخررت بناء شخصياتهم ، والله وحده يعلم متى يعاد بناؤها . وهم الذين جعلت منهم ثورة ١٩١٩ أهل المبادرة والإبداع في شتى النشاطات السياسية والاقتصادية والثقافية . بل أفسد استبدادك أجمل قراراتك . انظر كيف فسد التعليم ، وتفسخ القطاع العام ، وكيف قادك التحدى للقوى العالمية إلى الهزائم المخجلة والخسائر الفادحة . لم تستفد من الرأى الآخر ، ولم تتعظ بتجربة محمد علي ، وماذا كانت التسليمة ؟ .. دوىّ ، وجملة وأساطير فارغة تقوم على تلٌّ من الخراب .. فقال جمال

عبد الناصر :

- لقد نقلت وطني من حال إلى حال ، كما نقلت العرب وسائر الأمم المغلوبة على أمرها . وسوف تعالج السلبيات حتى تزول ، وينساها الزمن ، ويبيق ما ينفع الناس . وعند ذلك يقر الناس بعظمتي الحقيقة .

فقال مصطفى النحاس :

- ليتك تواضعت في طموحك . ليتك عكفت على إصلاح وطنك ، وفتح نوافذ التقدم له في شتى مجالات الحضارة .

إن تنمية القرية المصرية أهم من تبني ثورات العالم . إن تشجيع البحث العلمي أهم من حملة اليدين . ومكافحة الأمية أهم من مكافحة الإمبريالية العالمية .
وآسفاه ، لقد ضيّعت على مصر فرصة لم تتح لها من قبل .

فالأول مرة يحكمها ابن وطني من أبناء البلد ، دون مناوىء من ملك أو مستعمر . ولكنه بدلاً من أن يداوى ابن وطنه المريض ، دفع به إلى مبارزة البطولة العالمية ، وهو مثقل بأمراضه .. فكانت التسليمة أن خسر هذا الابن البطولة وخسر نفسه ..

وهنا قالت إيزيس :

- إن فرحتي برجوع العرش إلى أحد أبنائي لا تقدر .. وأعماله الجليلة تحتاج إلى جميع جدران المعابد لتسجل عليها .. أما خطاؤه .. فلا أدرى كيف أدفع عنها ؟

فقال أوزوريس :

- لو كانت محكتنا هي صاحبة الكلمة الأخيرة في الحكم عليك ، لطلب العدل منا ، التأمل والعناء الطويلين .. قبل أن نصل إلى حكمنا الأخير.

فقليلون من قدموا لبلادهم مثلما قدمت من خدمات ..

وقليلون من أزلوا بها مثل ما أزلت من إساعات ..

ولكن ، بالنسبة لأنك أول من يجلس على عرشهما من أبنائي ، وأول من يخوض الكادحين برعايته ..

فإننا نسمح لك بالجلوس بين الخالدين لحين انتهاء المحاكمة .. وستذهب بعد ذلك إلى حسابك في الآخرة ، مؤيدا بتركية مناسبة .

٢٩

ونادى حورس :

- محمد أنور السادات .

فدخل رجل متوسط القامة ، رشيق القد ، عميق السمرة . ومضى في سيره حتى مثل أمام العرش . ودعاه أوزوريس للكلام ، فقال :

- ولدت في قرية ميت أبوالكوم ، ونشأت في أسرة فقيرة ، ووُجِدَت عناء لا يستهان به كى استمر في الدراسة . وقد تشبعت بروح الوطنية منذ صغرى . وشاركت في المظاهرات الوفدية . ثم أمكنني الالتحاق بالكلية الحربية بعد أن فتحت أبوابها لأمثالى من أبناء الشعب بعد معاهدة ١٩٣٦ .

ومنذ تخرجي ، هالى وضع الجيش تحت سلطة البعثة العسكرية الإنجليزية . وخامرتني أفكار للدعوة لثورة مسلحة ضد الإنجليز . فأنشأت أول تنظيم سرى في الجيش عام ١٩٣٩ . وقد اتصلت بالإخوان المسلمين ، وأعجبت بنشاطهم . كما

حاولت أثناء الحرب الاتصال بالألمان (أعداء الإنجليز الذين يحتلون مصر) ، وعقدت العزم على اغتيال المتعاونين مع الإنجليز من المصريين . وقد قُبض على نتيجة ذلك ، وحوكمت ، ولكن نلت البراءة ، بل رجعت إلى خدمة الجيش . وفي ذلك الوقت ، اتصل بي جمال عبد الناصر وضمّنني إلى تنظيمه .

وقامت الثورة في يوليو ١٩٥٢ . وتتابعت الأحداث ، حتى واف الأجل جمال عبد الناصر . فخلفته في منصبه في ظرف بالغ الدقة .

و كنت على علم بالسلبيات التي نخرت في عظام عبد الناصر . فتوثّبت لاحاديث ثورة جديدة تنقذ البلاد من الموت الذي تردد فيه . قضيت على مراكز القوى . وانجهرت على مهل ، نحو الأمان وسيادة القانون والديمقراطية .

وفي ٦ أكتوبر ١٩٧٣ فاجأت العدو المحتل (إسرائيل) ، بل فاجأت العالم بهجوم لم يتوقعه أحد . وحققت انتصاراً أنقذ الروح العربية من القنوط ، وانتشر شرفنا من الهوان .

تم قت بمعاهدة أخرى ، باقتحامي بلد الأعداء ، أدعوا إلى تصفية الموقف بالكلمة لا بالسلاح . وانتهى سعي الطويل إلى معاهدة كامب ديفيد للسلام . وناديت بالانفتاح لإنقاذ الاقتصاد الوطني . وتقدمت في الديمقراطية خطوات جديدة . ولكن اعترضتني عقبات غيرت من حساباتي . فقد انحرفت المعارضة ، وهبّ التيار الديني يهدد البلاد بالعنف . فوقفت من الجميع موقفاً حازماً لا مفرّ منه . ولكن الأمور انتهت باغتيالي في ذكرى اليوم الذي حققت فيه لوطنى .. عزة النصر .

وتكلم الملك أخناتون ، فقال :

- أحييك كداعية من دعاء السلام . ولا أدهش لاتهام خصومك لك بالخيانة .
فقد تلقيت منهم نفس التهمة لنفس السبب ..

فقال تحتمس الثالث :

- يذكرني انتصارك بانتصار رمسيس الثاني ، الذي انتهى بمعاهدة سلام ،
والزواج من ابنة ملك الحبيبين :
فقال رمسيس الثاني :



- الحاكم مسئول أولاً عن حياة شعبه . ومن هذا المنطلق ، يقوم بالحرب أو يجتهد إلى السلام .

فقال أنور السادات :

- وقد آمنت بصدق ، بعدم جدوى الاستمرار في الحرب .

وقال الملك منصب الثالث :

- ما أشبهك بي - أيها الرئيس - في حب الرفاهية لشعبك ولنفسك . كلانا عشق الألهة ، والنعيم ، والعظمة ، والقصور . غير أن زمانى سمح لي بأن أهل من النعيم بلا كثرة ، أما زمانك فأذاقك الحلو والمر . دعني أعرب لك عن حبي وعطفي .

وقال الملك حورمحب :

- أنت توليت الحكم في ظروف تشبه - في بعض نواحيها - الظروف التي تحدّثني أول حكمي ، عقب وفاة الملك العجوز آى . وأعترف بأنك قت بأعمال جليلة ، ووجهت ضربات صادقة ، ولكنك تهاونت في معاقبة الفساد والمفسدين ، حتى أوشكوا أن يحيطوا انتصاراتك إلى هزائم .

فقال أنور السادات :

- شغلت بتشجيع الانفتاح عن الضرب على أيدي المفسدين .

فقال حورمحب :

- لا قيام للدولة إلا على الانضباط والقيم .

وسأله جمال عبد الناصر :

- كيف هان عليك أن تقف من ذكرى هذا الموقف الغادر ؟

فقال أنور السادات :

- اتخذت هذا الموقف مضطراً . إذ قامت سياسى في جوهرها على تصحيح الأخطاء التي ورثتها عن عهدي .

- ولكنك في عهدي ، كنت راضياً ومشجعاً وصديقاً ؟

- من الظلم أن يحاسب إنسان على موقف له في زمن رعب أسود ، خاف فيه الأب من ابنه ، والأخ من أخيه .

- والنصر الذي أحرزته ، ليس إلا ثمرة استعدادي الطويل له .

قال أنور السادات :

ـ ما كان لهزوم مثلك أن يتحقق انتصارا . إنني أرجعت للشعب حريته وكرامته ،
ثم قدمته إلى نصر أكيد .

ـ ثم تنازلت عن كل شيء ، في سبيل سلام مهين ، فطعنت وحدة العرب طعنة
قاتلة ، وقضيت على مصر بالانزال ..

قال أنور السادات :

ـ لقد ورثت عنك وطنا يتزعزع على هاوية الفناء ، ولم يمد لى العرب يد عون
صادقة ، فلم أتردد في اتخاذ قرارى ..

ـ واستبدلت بالعملاق الذى طالما ساندنا ، العملاق الذى طالما ناصبنا العداء .

ـ اتجهت إلى العملاق الذى بيده الحل . وصدقت الحوادث حساباتى .

ـ واندلقت في الانفتاح ، حتى أغرت البلاد في موجة غلاء وفساد . وبقدر ما
كان عهدي أمانا للفقراء ، كان عهdek أمانا للأغنياء واللصوص .

قال أنور السادات :

ـ لقد عملت لخير مصر ، فوثب الأتهازيون من وراء ظهرى :
وتكلم مصطفى النحاس ، فقال :

ـ حاولت اغتيالي ، وكدت تنجح ، لولا العناية الإلهية . ثم فقدت حياتك نتيجة
للاغتيال . فهل ياترى لاتزال تؤمن به ؟

قال أنور السادات :

ـ نحتاج لأنضعاف عمرنا .. لكي نتعلم الحكم .

قال مصطفى النحاس :

ـ وسمعت عن دعوتك إلى الديمقراطية ، فدهشت .. ثم تبيّن لي أنك تريد حكما
ديمقراطيا تمارس من على رأسه .. سلطاتك الديكتاتورية !

ـ أردت ديمقراطية ترعى آداب القرية ، وحقوق الأبوة .

ـ هذه ديمقراطية قبلية .

قال سعد زغلول :

ـ هذا حق ، ولكن الديمقراطية الحقيقة تؤخذ ولا تمنح ، فلا تغال في لومه ..

وقال مصطفى النحاس :

- واشتدت الضائقـة بالناس ، وحدث ما يحدث عادة في مثل تلك الظروف من مظاهر الفتن والتطرف . فتركـت الأمور تستفحـل كأنـك لا تبالي . ثم انفجرـت بعـة ، فالقيـت بالجـمـيع في السـجـون ، فأغـضـبت المـسـلمـين ، والـمـسيـحـين ، والـمـطـرـفـين ، والـمـعـدـلـين .. وانتـهى الأمر بـمـأسـة المـنـصـة ..

فقال أنور السادات :

- وجدـت أنه لا مفرـ من ضـرة حـاسـمة ، اـنقـاء لـفـوضـي ، توـشكـ أن تـجـزـ البلاد إـلـى حـربـ أـهـلـية ..

فقال سـعد زـغلـول :

- عندـما يـغـتصـبـ الحـاـكـمـ حـقـوقـ شـعـبـه ، فإـنهـ يـخـلقـ منـ هـذـاـ الشـعـبـ خـصـماـ لـهـ . وعـندـ ذـلـكـ تـبـدـدـ قـوـةـ الـبـلـادـ الـأـسـاسـيـةـ فيـ صـرـاعـ دـاخـلـي .. بدـلاـ منـ أـنـ تـوجـّـهـ لـلـعـملـ الصـالـحـ .

وهـناـ قـالـتـ إـيزـيسـ :

- بـفـضـلـ هـذـاـ الـابـنـ ، رـدـتـ الرـوـحـ إـلـىـ الـوـطـنـ ، وـاستـرـدـتـ مـصـرـ اـسـتـقـلاـلـهـاـ الـكـامـلـ ، كـمـاـ كـانـ قـبـلـ العـزـوـ الـفـارـسـيـ . وـقدـ أـخـطـأـ كـمـاـ أـخـطـأـ سـواـهـ ، وأـصـابـ أـفـضـلـ مـاـ أـصـابـ كـثـيرـونـ .

فقال أـوزـوريـسـ :

- أـرـحـبـ بـكـ بـيـنـ الـخـالـدـيـنـ مـنـ أـبـنـاءـ مـصـرـ ، وـسـوـفـ تـمـضـيـ بـعـدـ ذـلـكـ إـلـىـ حـسـابـكـ فـيـ الـآـخـرـةـ مـؤـيدـاـ بـتـرـكـيـةـ مـشـرـفـةـ مـنـاـ .

٣٠

قلـبـ أـوزـوريـسـ عـيـنـيهـ فـيـ الـخـالـدـيـنـ ، وـقـالـ :

- هـاـ هـىـ حـيـاةـ مـصـرـ ، قـدـ عـرـضـتـ عـلـيـكـمـ بـكـلـ أـفـرـاحـهـ وـأـحـزـانـهـ ، مـنـذـ وـحدـهـاـ مـيـنـاـ ، وـحتـىـ اـسـتـرـدـتـ اـسـتـقـلاـلـهـاـ عـلـىـ يـدـ السـادـاتـ . فـلـعـلـ لـبعـضـكـمـ رـؤـيـةـ يـرـيدـ أـنـ يـنـوـهـ بـهـاـ ؟

وطلب الملك أخناتون الكلمة ، ثم قال :

ـ أدعوا للاستمساك بعبادة الإله الواحد ، باعتباره الخلود والتحرر من أي عبودية أرضية .

وقال الملك مينا :

ـ والحرص على وحدة الأرض والشعب . فالنكسة لا تجىء إلا نتيجة خلل يصيب هذه الوحدة .

وقال الملك خوفو :

ـ على مصر أن تؤمن بالعمل ، به شيدت الهرم ، وبه تواصل البناء .

وقال أختب وزير الملك زوس :

ـ وأن تؤمن بالعلم ، فهو القوة التي حققت خلودها .

وقال الحكم بتاح حتب :

ـ وأن تؤمن بالحكمة والأدب لتنعم بنصرارة الحياة ، وتنهل من رحيقها .

وقال أبنوم :

ـ وأن تؤمن بالشعب والثورة ، لتابع مسيرتها نحو الكمال .

وقال الملك تحتمس الثالث :

ـ وأن تؤمن بالقوة التي تتحقق حين تلتجم بغير أنها .

وقال سعد زغلول :

ـ وأن يكون الحكم فيها من الشعب ، وبالشعب ، ومن أجل الشعب .

وقال جمال عبد الناصر :

ـ وأن تقوم العلاقات بين الناس على أساس العدالة الاجتماعية المطلقة .

وقال أنور السادات :

ـ وأن يكون هدفها الحضارة والسلام .

وهنا قالت إيزيس :

ـ ليضرع كل منكم إلى إلهه ، أن يهب أهل مصر الحكمة والقوة ، لتبقى على الزمان .. منارة الهدى والجمال .

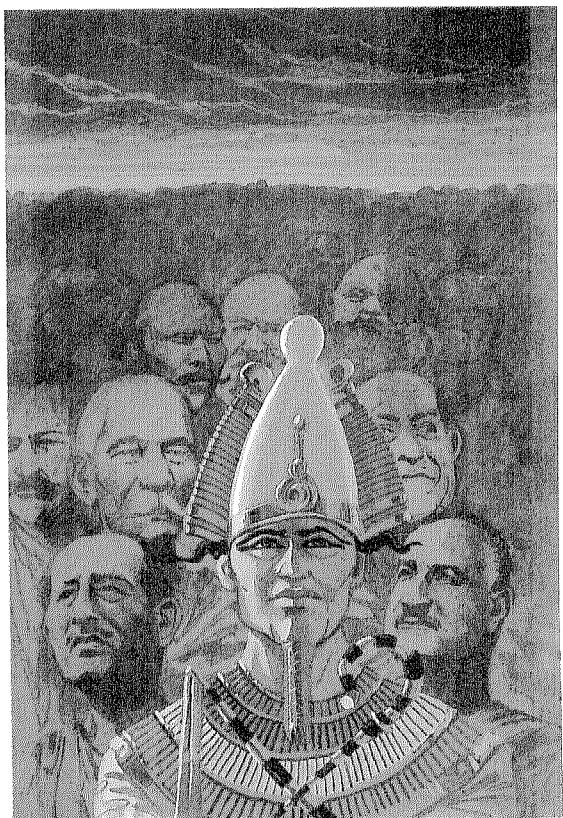
فبسط الجميع أكفهم ، واستغرقوا في الدعاء .

رقم الإيداع . ٨٩/٨٩٩٤
الت رقم المدرق ، ٦ - ١٤٨ - ٣٣٩ - ٩٧٧

مطبع الشروق

المناهف ١٩ شارع حولاد حسني - ماص - ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤
بيروت، صن ب - ٨٠٦٤ - ماص - ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣

أمام العرش



هذا الكتاب

- شرقت دار الشروق ، وحصلت من الكاتب الكبير الأستاذ نجيب محفوظ ، على حق إصدار أعماله الأدبية للأطفال .
- ورأينا أن نبدأ برواياته التاريخية ، لتعرف منها أجيالنا الجديدة مسيرة تاريخهم ، وما صنعه الأجداد من حضارة سبقت كل الحضارات .
- فأصدرنا :
 - ١ - عجائب الأقدار .
 - ٢ - كفاح طيبة .
 - ٣ - كفاح أحمس .
- واليوم نصدر «أمام العرش» .. المحكمة التاريخية لحكم مصر وقادتها من الملك مينا حتى أنور السادات .
- وتحت اختياراتنا تحاكم كل الحكماء والقادة الذين كانت لهم أدوارهم الرايدة الفاعلة والتي صنعت تاريخ مصر ، منذ كان لها تاريخ يحق اليوم .
- إن «أمام العرش» الذي نقدمه ، هو موسوعة تاريخية ، وتربيه وطنية لأجيالنا الجديدة .. ليتعلموا منها الكثير الذي يثبت إيمانهم بمصرهم ، ويخذلهم على العطاء الصادق المخلص لها .. أسوة بالسابقين من أبناءها الحالدين .
- وكما التزمنا .. قمنا بتيسير الرواية وتبسيطها ، وتقديمها وفق المتطلبات التربوية والفنية .. مع الحرص على أن تظل بنفس بنائها وأحداثها وشخصياتها .. وإلى حد كبير ، نفس لغتها وأسلوبها .. الأمر الذي يجعل الرواية ، بسيطة هذه ، يقرؤها الناشيون بفهم تام ، ويستمتعون بأحداثها كاملة ، ويسعدون أنهم تجاوزوا قراءة القصة .. إلى قراءة الرواية .
- وإذا كانت رقعة القراءة عالميا ، لكتابنا الكبير ، قد اتسعت وتضاعفت بعد حصوله على جائزة نوبل العالمية للآداب ، وأصبحت أعماله تترجم إلى كل لغات العالم .. فإن دار الشروق يسعدنا أن يسهم مشروعها هذا ، في أن تسع رقعة القراءة عربيا ، لكتابنا الكبير ، وتحتَّم تشمل القاعدة العربية من أجيالنا الجديدة .. ذخيرتنا وعدتنا للمستقبل .
- والله ولِي التوفيق ،

محمد العاسم

© دار الشروق

القاهرة : ١٦ شارع جراد حسني - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤
لبنان : بوليفارد - برج الرشيد - برج الرشيد - ٨١٧٧٦٢٥ - ٨١٧٧٦١٣ - ٨٠٩٦ - ٨٠٩٥ - ٣١٥٨٥٩